تاريخ ابن خلدون

المجلد الثالث 3

ص 428-508

حسين الأصغر بن زين العابدين. فلما انهزم الحسن بن زيد أظهر الحسن بن محمد أنه قتل، ودعا لنفسه، وحاربه الحسن بن زيد فظفر به وقتله. وفيها ملك الخجستاني نيسابور من يد عامل ابن عمرو بن الليث، وفيها في صفر زحف الموقِّ لقتال صاحب الزنج فلم يزل يحاصره حتى اقتحم عليه مدينته وقتله منتصف سنة سبعين. وفيها كانت الحرب بالمدينة بين بني حسن وبني جعفر. وفي "سنة سبع وستين كانت الفتنة بالموصل بين الخوارج. وفيها حبس السلطان محمد بن عبدالله بن طاهر وجماعة من بيته اتهمه عمرو بن الليث بممالأة الخجستاني والحسين بن طاهر أخيه، فكتب إلى المعتمد وحبسه. وفيها كانت بين كيغلق التركي وأحمد بن عبَّد العزيز بن أبي دلف، وانهزم أحمد وملك كيغلق همذان، فزحف إليه أحمد بن عد العزيز فهزمه وملك همذان، وسار كيغلق إلى الصحيرة. وفيها أزال الخجستاني ذكر محمد بن طاهر من المناير ودعا لنفسه بعد المعتمد، وضرب السكة باسمه، وجاء يريد العراق فانتهى إلى الري، ثم رجع. وفيها أوقع أصحاب أبي الساج بالهيثم العجلي صاحب الكوفة، وغنموا عسكره. وفيها أوقع أبو العباس بن الموقِّ بالأعراب الذين كانوا يجلبون الميرة بالزنج من بني تميم وغيرهم.

وفي سنة ثمان وستين كان مقتل الخجستاني وأصحابه بعده. على رافع بن هُرَّثمة من قوَّاد بني طاهر، وملك بلاد خراسان وخوارزم، وفيها انتقض محمد بن الليث بفارس على أخيه عمرو، فسار إليه وهزمه واستباح عسكره، وملك أصطخور وشيراز وظفر به، فحبسه كما مرَّ. وفيها كانت وقعة بين أتكوتكين بن أساتكين وبين أحمد بن عبَّد العزيز بن أبي دلف، فهزمه أتكوتكين وغلبه على قم. وفيها بعث عمرو بن الليث عسكراً إلى محمد بن عبَّد الله الكردي. وفيها انتقض لؤلؤ على مولاه أحمد بن طولون، وسار إلى الموفق وقاتل معه الزنج وفيها سار المعتمد إلى ابن طولون بمصر مغاضباً لأخيه الموفق. وكتب الموفق إلى إسحق بن كنداجق بالموصل برده فسار معه إلى آخر عمله. ثم

قبض على القوَّاد الذين معه، وردّه إلى سامرا. وفيها وثب العامة ببغداد بأمرهم الخلنجي وكان كاتب عبيد الله بن طاهر، وقتل غلام له امرأة بسهم، فلم يعدهم عليه، فوثبوا به وقتلوا من أصحابه ونهبوا منزله وخرج هارباً، فركب محمد بن عبّد الله واسترد من العامة ما نهبوه. وفيها وثب بطرسوس خلق من أصحاب ابن طولون وعامله على الثغور الشامية، فاستنقذه أهل طرسوس من يده، وزحف إليهم ابن طولون فامتنعوا عليه، ورجع إلى حمص، ثم إلى دمشق. وفيها كانت وقعة بين العلويين والجعفريين بالحجاز، فقتل ثمانية من الجعفريين وخلّصوا عامل المدينة من أيديهم. وفيها عقد هرون بن الموقّق لأبي السّاج على الأنبار والرحبة وطريق الفرات، ووّلّى محمد بن أحمد على الكوفة وسوادها، ودافعه عنها محمد بن الهيثم، فهزمه محمد ودخلها. وفيها مات عيسى بن الشيخ عامل الشيباني عامل أرمينية وديار بكر. وفيها عظمت الفتنة بين الموقّق وابن طولون، فحمل المعتمد على لعنه وعزله ووّلّى إسحق بن كنداجق على أعماله إلى أفريقية، وعلى شرطة الخاصة. وقطع ابن طولون الخطبة للموقّق وإسمه من الطرز. وفيها ملك ابن طولون الرحبة بعد مقاتلة أهلها، وهرب أحمد بن مالك بن طوق إلى الشام، ثم سار إلى ابن السّمّاح بقرقيسيا. وفي سنة سبعين كان مقتل صاحب الزنج وانقراض دعوته، ووفاة الحسن بن زيد العلوي صاحب طبرستان، وقيام أخيه محمد بأمره، ووفاة أحمد بن طولون صاحب مصر وولاية ابنه خماروبه ومسير إسحق بن كنداجق باين دعامس عامل الرقة والثغور العواصم لابن طولون. وفي سنة إحدى وسبعين ثار بالمدينة محمد وعليّ ابنا الحسن بن جعفر بن موسى الكاظم وقتلا جماعة من أهلها، ونهبوا أموال الناس، ومنعا الجمعة بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم شهراً. وفيها عزل المعتمد عمرو بن الليث من خراسان فقاتله أحمد بن عبّد الله بن أبي دلف بأصبهان وهزمه. وفيها استعاد خماروبه الشام من يد أبي العبّاس بن الموقّق، وفر إلى طرسوس كما تقدم. وفيها عقد المعتمد لأحمد بن محمد الطائي على المدينة وطريق مكة، وكان يوسف بن أبي السّاج والي مكة. وجاء بدر غلام الطائي أميراً على الحاج فحاربه يوسف على باب المسجد الحرام وأسره، فسار الجند والحاج بيوسف وأطلقوا بدرّاً من يده وحملوا يوسف أسيراً إلى بغداد. وفي منتصف سنة إثنين وسبعين غلب أتكوتكين على الري من يد محمد بن

زيد العلويّ. سار هو من قزوين في أربعة آلاف، ومحمد بن زيد من طبرستان في الديلم، وأهل خراسان، فانهزموا وقتل منهم ستة آلاف. وفيها ثار أهل طرسوس بأبي العباس بن الموفق وأخرجوه إلى بغداد وولوا عليهم بازيار. وفيها توفي سليمان بن وهب في حبس الموفق. وفيها دخل حمدان بن حمدون وهرون مدينة الموصل. وفيها قدم صاعد بن مخلد الوزير من فارس، وقد كان بعثه الموفق إليها لحرب فرجع إلى واسط، وركب القواد لاستقباله فترجلوا إليه وقتلوا يده، ولم يكلمهم. ثم قبض الموفق على جميع أصحابه وأهله ونهب منازلهم، وكتب إلى بغداد بقبض ابنه أبي عيسى وصالح وأخيه عبدون، واستكتب مكانه أبا الصقر إسماعيل بن بلبل، واقتصر به على الكتابة. وفيها جاء بنو شيبان إلى الموصل فعاثوا في نواحيها وأجمع هرون الشاربي وأصحابه على قصدهم، وكتب إلى أحمد بن حمدون الثعلبي فجاءه وساروا إلى الموصل وعبروا الجانب الشرقي من دجلة، ثم ساروا إلى نهر الحادر، فلما تراءى الجمعان انهزم هرون وأصحابه وانجلى سوى عنها. وفي سنة ثلاث وسبعين وقعت الفتنة بين ابن كنداجق وبين ابن أبي السّاج، وسار ابن أبي السّاج إلى ابن طولون واستولى على الجزيرة والموصل، وخطب له فيها. وقاتل الشراة كما ذكرنا. وفيها قبض الموفق على لؤلؤ غلام ابن طولون وصادره على أربعمئة ألف دينار. وبقي في إدار إلى أن عاد إلى مصر أيام هرون بن خمارويه. وفي سنة أربع وسبعين سار الموفق إلى فارس فاستولى عليها من يد عمرو بن الليث، ورجع عمرو إلى كرمان وسجستان، وعاد الموفق إلى بغداد. وفي سنة خمس وسبعين نقض ابن أبي السّاج طاعة خمارويه، وقاتله خمارويه فهزمه، وملك الشام من يده وسار إلى الموصل، وخمارويه في اتباعه إلى بغداد، ولحق ابن أبي السّاج بالخديثة فأقام بها إلى أن رجع خمارويه. وكان إسحق بن كنداجق قد جاء إلى خمارويه فبعث معه جيشاً وقوادا في طلب ابن أبي السّاج واشتغل بعمل السفن للعبور إليه، فسار ابن أبي السّاج عنها إلى الموصل، واتبعه ابن

كنداج وسار إلى الرقة فاتبعه ابن أبي السَّاج، وكتب إلى الموقِّق يستأذنه في اتباعه إلى الشام. وجاء ابن كنداج بالعساكر من عند خمارويه وأقام على حدود الشام. ثم هزم ابن أبي السَّاج فسار إلى الموفق وملك ابن كنداج ديار ربيعة وديار مصر، وقد تقدم ذكر ذلك. وفيها خرج أحمد بن محمد الطائي من الكوفة لحرب فارس العبيدي كان يخيف السابلة فهزمه العبيدي، وكان الطائي على الكوفة وسوادها وطريق خراسان وسامرا وشرطة بغداد، وخراج بادردباد قطربل. وفيها قبض الموفق على ابنه أبي العباس وحبسه. وفيها ملك رافع بن هرثمة جرجان من يد محمد بن زيد وحاصره في استراباذ نحواً من سنتين، ثم فارقه الجيش لحربه فسار عن سارية وعن طبرستان سنة سبع وسبعين. وأستأمن رستم بن قارن إلى رافع، وقدم عليه علي بن الليث من حبس أخيه بكرمان هو وابناه العدل والليث. وبعث رافع على سالوس محمد بن هرون وجاء إليه علي بن كاني مستأمناً فحصرهما محمد بن زيد، وسار إليه رافع ففر إلى أرض الديلم ورافع في اتباعه إلى حدود قزوين فسار فيها وأحرقها وعاد إلى الري، وفي سنة ست وسبعين رضي المعتمد عن عمرو بن الليث وولاه وكتب إسمه على الأعلام، وولّى على الشرطة ببغداد من قبله عبيد الله بن عبّد الله بن طاهر. ثم انتقض فأزبل. وفيها كان مسير الموفق إلى الجبل لأتكوكتين ومحاربة أحمد بن عبّد العزيز بن أبي دلف، وقد تقدم ذلك. وفيها ولي الموقِّق ابن أبي السَّاج على أذربيجان فسار إليها، ودافعه عبّد الله بن حسن الهمذاني صاحب مراغة فهزمه ابن أبي السَّاج، واستقر في عمله. وفيها زحف هرون الشاري من الخديثة إلى الموصل يريد حربها، ثم صانعه أهل الموصل ورحل عنهم. وفي سنة سبع وسبعين دعا مازيار بطرسوس لخمارويه بن أحمد بن طولون، وكان أنفذ إليه ثلاثين ألف دينار وخمسمائة ثوب وخمسمائة مطرف وسلاحاً كثيراً. وبعث إليه بعد الدعاء بخمسين ألف دينار. وفي سنة ثمان وسبعين كانت وفاة الموفق وبيعة المعتضد بالعهد كما مرّ. وفيها كان ابتداء أمر القرامطة وقد تقدّم. وفي سنة تسع وسبعين خلع جعفر بن المعتمد وقدم عليه المعتضد، وكانت الحرب بين الخوارج وأهل الموصل، وبين بني شيبان. وعلى بني شيبان هرون بن سيما من قبل محمد بن إسحق بن كنداج، ولاه عليها فطرده أهلها، فزحف إليهم مع بني شيبان، ودافع عن أهل الموصل هرون الشاري وحمدان بن حمدون، فهزمهم بنو شيبان، وخاف أهل

الموصل من ابن سيماء وبعثوا إلى بغداد يطلبون والياً، فولى المعتمد عليهم محمد بن يحيى المجروح الموكّل بحفظ الطريق، وكان ينزل الخُدَيْثَةَ فأقام بها أياماً ثم استبدل منه بعلي بن داود الكردي.

وفاة المعتمد وبيعة المعتضد:

توفي المعتمد على الله أبو العباس أحمد بن المتوكل لعشر بقين من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين، لثلاث وعشرين سنة من ولايته، ودفن بسامراء، وهو أول من انتقل إلى بغداد، وكان في خلافته مغلباً عاجزاً، وكان أخوه الموفق مستبداً عليه، ولم يكن له معه حكم في شيء. ولما مات الموفق سنة ثمان وسبعين كما قدمناه أقام مكانه ابنه أبا العباس أحمد المعتضد، وحجر المعتمد كما كان أبوه يحجره، وولاه عهده كما كان أبوه. ثم قدمه في العهد على ابنه جعفر، ثم هلك فباع الناس للمعتضد بالخلافة صبيحة موته، فولى غلامه بدرّاً الشرطة وعيّد الله بن سليمان بن وهب الوزارة ومحمد بن الشاري بن مالك الحرس. ووفد عليه لأول خلافته رسول عمرو بن الليث بالهدايا وسأل ولاية خراسان فعقد له عليها، وبعث إليه بالخلع واللواء ولأول خلافته مات نصر بن أحمد الساماني ملك ما وراء النهر، وقام مكانه أخوه إسماعيل.

مقتل رافع بن الليث:

كان رافع بن الليث قد وضع يده على قرى السلطان بالري وكتب إليه المعتضد برفع يده عنها، فكتب إلى أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف بإخراجه عن الري فقاتله وأخرجه وسار إلى جرجان ودخل نيسابور سنة ثلاث وثمانين، ف وقعت بينه وبين عمرو حرب، وانهمز رافع إلى أبورد، وخلص عمرو وابني أخيه من حبسه، وهما العدل والليث ابنا علي بن الليث، وقد تقدّم خبرهما. ثم سار رافع إلى هراة ورصده عمرو بسرخس، فشعر به ورجع إلى نيسابور في مسالك صعبة، وطرق ضيقة، وأتبعه عمرو فحاصره في نيسابور. ثم تلاقيا وهرب عن رافع بعض قواده إلى عمرو فانهمز رافع، وبعث أخاه محمد بن هرثمة إلى محمد بن زيد يستمده كما شرط له فلم يفعل. وافترق عن رافع أصحابه وغلمانه، وفارقه محمد بن هارون إلى أحمد بن إسماعيل في

بخارى، ولحق رافع بخوارزم في فل من العسكر ومعه بقية أمواله وآلته، ومّر في طريقه بأبي سعيد الدرغاني ببلد * فاستغفله وغدر به وحمل رأسه إلى عمرو بن الليث بنيسابور، وذلك في شوال سنة ثلاث وثمانين.

خبر الخوارج بالموصل:

قد تقدم لنا أن خوارج الموصل من الشراة استقدر عليهم بعد مساور هارون الشاري وذكرنا شيئاً من أخبارهم. ثم خرج عليه سنة ثمانين محمد بن عبادة ويعرف بأبي جوزة من بني زهير من البقعاء، وكان فقيراً ومعاشه ومعاش بنيه في التقاط الكمأة وغيرها وأمثال ذلك، وكان يتدين ويظهر الزهد، ثم جمع الجموع وحكم، واستجمع إليه الأعراب من تلك النواحي، وقبض الزكوات والأعشار من تلك الأعمال، وبنى عند سنجار حصناً ووضع فيه أمتعته وماعونه، وأنزل به ابنه أبا هلال في مائة وخمسين، فجمع هارون الشاري أصحابه وبدأ بحصار الحصن، فأحاط به ومحمد بن عبادة في داخله. وجد في حصاره حتى أشرف على فتحه، وقيد أبا هلال ابنه ونفراً معه، وبعث بنو ثعلب وهم مع هارون إلى من كان بالحصن من بني زهير فأمنوهم، وملك هارون الحصن. ثم ساروا إلى محمد فلقبهم وهزمهم أولاً ثم كروا عليه مستميتين فهزموه، وقتلوا من أصحابه ألفاً وأربعمائة، وقسم هارون ماله، ولحق محمد بآمد، فحاربه صاحبها أحمد بن عيسى بن الشيخ، فظفر به وبعثه إلى المعتضد فسلخه حياً.

إيقاع المعتضد ببني شيبان واستيلاؤه علي ماردین:

وفي سنة ثمانين سار المعتضد إلى بني شيبان بأرض الجزيرة ففروا أمامه، وأثار على طوائف من العرب عند السند، فاستباحهم وسار إلى الموصل، فجاءه بنو شيبان وأعطوه رهنهم على الطاعة، فغلبهم وعاد إلى بغداد. وبعث إلى أحمد بن عيسى بن الشيخ في أموال ابن كنداج التي أخذها بأحمد، فبعث بها وبهبل أياماً كثيرة معها. ثم بلغه أن أحمد بن حمدون ممالء لهارون الشاري وداخل في دعوته، فسار المعتضد إليه سنة إحدى وثمانين. واجتمع الأعراب من بني ثعلب وغيرهم للقائه، وقتل منهم،

وغرق في الزاب كثيراً، وسار إلى الموصل. ثم بلغه أن أحمد هرب عن ماردين، وخلف بها ابنه، فسار المعتضد إليه ونازله وقتله يوماً، ثم صعد من الغد إلى باب القلعة، وصاح بابن حمدان واستفتح الباب ففتح له دهشاً، وأمر بنقل ما في القلعة وهدمها، وبعث في طلب حمدان وأخذ أمواله.

الولاية علي الجبل وأصبهان:

عقد المعتضد سنة إحدى وثمانين لإبنه عليّ، وهو المكتفي على الرّيّ وقزوين وزنجان وأبهر وقم وهمدان والدينور فاستأمن إليه عامل الرّيّ لرافع بن الليث، وهو الحسن بن عليّ كوره فأمنه وبعث به إلى أبيه.

عود حمدان إلي الطاعة:

وفي سنة إثنين وثمانين سار المعتضد إلى الموصل واستقدم إسحاق بن أيوب وحمدان بن حمدون فبادر إسحاق بقلاعه، وأودع حرمه وأمواله، فبعث إليه المعتضد العساكر مع وصيف ونصر القسوري فمروا بذيل الزعفران من أرض الموصل، وبه الحسن بن عليّ كوره، ومعه الحسين بن حمدان. فاستأمن الحسين وبعثوا به إلى المعتضد فأمر بهدم القلعة. وسار وصيف في اتباع حمدان فواقعه وهزمه وعبر إلى الجانب الغربي من دجلة، وسار في ديار ربيعة، وعبرت إليه العساكر وحبسوه فأخذوا ماله، وهرب وضاقت عليه الأرض، فقصد خيمة إسحاق بن أيوب في عسكر المعتضد مستجيراً به فأحضره عند المعتضد فوكل به وحبسه.

هزيمة هارون الشاري ومهلكه:

كان المعتضد قد ترك بالموصل نصراً القسروي لاعادته العمال على الجباية، وخرج بعض العمال لذلك فأغارت عليهم طائفة من أصحاب هارون الشاري وقتل بعضهم، فكثرت عيث الخوارج. وكتب نصر القسروي إلى هارون يهدده، فأجابه وأساء في الرد وعرض بذكر الخليفة فبعث نصر بالكتاب إلى المعتضد فأمره بالجد في طلب هارون، وكان على الموصل يكتم طائشمر من مواليهم، فقبض عليه وقيده، وولّى على الموصل الحسن كوره، وأمر ولاة الأعمال بطاعته، فجمعهم وعسكر بالموصل،

وخذق على عسكره إلى أن أوقع بالناس غلاتهم. ثم سار إلى الخوارج وعبر الزاب إليهم فقاتلهم قتالاً شديداً، فهزمهم وقتل منهم وافترقوا، وسار الكثير منهم إلى أذربيجان ودخل هارون البرية واستأمن وجوه أصحابه إلى المعتضد فأمنهم. ثم سار المعتضد سنة ثلاث وثمانين في طلب هارون، فانتهى إلى تكريت، وبعث الحسين بن حمدون في عسكر نحو من ثلثمائة فارس، واشترط إن جاء به إطلاق ابنه حمدان! وسار معه وصيف وانتهى إلى بعض مخايض دجلة فأرصد بها وصيفاً وقال: لا تفارقوها حتى تروني! ومضى في طلبه فواقعه وهزمه، وقتل من أصحابه. وأقام وصيف ثلاثة أيام فأبطأ عليه الأمر، فسار في اتباع ابن حمدان، وجاء هارون منهزماً إلى تلك المخاضة فعبّر، وابن حمدان في أثره إلى حي من أحياء العرب قد اجتاز بهم هارون، فدلّوا ابن حمدان عليه فلحقه وأسرته وجاء به إلى المعتضد. فرجع المعتضد آخر ربيع الأول، وخلع على الحسين وإخوته وطوقه، وأدخل هارون على الفيل وهو ينادي: لا حكم إلا لله ولو كره المشركون، وكان صغدياً. ثم أمر المعتضد بحل القيود عن حمدان بن حمدون والإحسان إليه وبإطلاقه. وفي سنة إثنين وثمانين سار المعتضد من الموصل إلى الجبل، فبلغ الكرخ، فهرب عمر بن عبّد العزيز بن أبي دلف بين يديه، فأخذ أمواله وبعث إليه في طلب جدّ كان عنده فوجهه إليه. ثم بعث المعتضد وزيره عبيد الله بن سليمان إلى ابنه بالري ليسيّر من هنالك إلى عمر بن عبّد العزيز بالأمان، فسار وأمنه ورجع إلى الطاعة، فخلع عليه وعلى أهل بيته، وكان أخوه بكر بن عبّد العزيز قد استأمن قبل ذلك إلى عبيد الله بن سليمان وبدر فولّاه عمله، على أن يسيّر إلى حربه. فلما وصل عمر في الأمان قال لبكر: إنما وليناك وأخوك عاصي، فامضيا إلى أمير المؤمنين المعتضد، ووّلّى عيسى النوشري على أصبهان من قبل عمر، وهرب بكر إلى الأهواز. وسار عبيد الله بن سليمان الوزير إلى عليّ بن المعتضد بالري. ولما بلغ الخبر إلى المعتضد بعث وصيفاً موسكين إلى بكر بن عبّد العزيز بالأهواز، فلحقه بحدود فارس، فمضى بكر إلى أصبهان ليلاً، ورجع وصيف إلى بغداد، وكتب المعتضد إلى بدر موله بطلب بكر بن عبّد العزيز وحربه، فأمر بذلك عيسى النوشري فقام به ولقي بكرّاً بنواحي أصبهان، فهزمه بكر، ثم عاد النوشري لقتاله سنة أربع وثمانين، فهزمه بنواحي أصبهان

واستباح عسكره. ولجأ بكر إلى محمد بن زيد العلوي بطبرستان، وهلك بها سنة خمس وثمانين. وكان عمر لثا مات أبوه قبض على أخيه الحارث، ويكنى أبا ليلي، وحبسه في قلعة رد، ووكل به شفيعاً الخادم. فلما جاء المعتضد وأستأمن من عمر وهرب بكر وبقيت القلعة بيد شفيع بأموالها، رغب إليه الحارث في إطلاقه فلم يفعل، وكان شفيع يسامره كل ليلة وينصرف، فحادثه ليلة ونادمه، وقام شفيع لبعض حاجته، فجعل الحارث في فراشه تمثالاً وغطاه، وقال لجارته قولي لشفيع إذا عاد هو نائم ومضى. فاختم في الدار، وفك القيد عن رجله بمبرد أدخل إليه وبرد به مسماره. ولما أخبر شفيع بنومه مضى إلى مرقده، وقصده أبو ليلي على فراشه فقتله، وأمر أهل الدار واجتمع عليه الناس فاستحلفهم ووعدهم، وجمع الأكراد وغيرهم وخرج من القلعة ناقصاً للطاعة. فسار إلى عيسى النوشري وحاربه فأصاب أبا ليلي سهم فمات وحمل رأسه إلى أصبهان ثم إلى بغداد.

خبر ابن الشيخ بآمد:

وفي سنة خمس وثمانين توفي أحمد بن عيسى بن الشيخ، وقام بأمره في آمد وأعمالها ابنه محمد، فسار المعتضد إليه في العساكر ومعه ابنه أبو محمد عليّ المكتفي، ومّر بالموصل وحاصر المعتضد إلى ربيع الآخر من سنة ست وثمانين، ونصب عليها المجانيق حتى استأمن لنفسه ولأهل آمد. وخرج إلى المعتضد فخلع عليه وهدم سورها. ثم بلغه أنه يروم الهرب، فقبض عليه وعلى أهله.

خبر ابن أبي السّاج :

قد تقدم لنا ولاية محمد بن أبي السّاج على أذربيجان ومدافعة الحسين إياه عن مراغة ثم فتحها، واستيلاؤه على أعمال أذربيجان. وبعث المعتضد سنة إثننتين وثمانين أخاه يوسف بن أبي السّاج إلى الصمرة مدداً لفتح القلانسي غلام الموقّق، فخرج يوسف فيمن أطاعه فولاه المعتضد على أعماله، وبعث إليه بالخلع وأعطاه الرهن بما ضمن من الطاعة والمناصحة وبعث بالهدايا.

القرامطة

ابتداء أمر القرامطة بالبحرين والشام:

كان في سنة إحدى وثمانين قد جاء إلى القطيف بالبحرين رجل تسمى يحيى بن المهدي وزعم أنه رسول من المهدي ، وأنه قد قرب خروجه، وقصد من أهل القطيف علي بن المعلى بن حمدان الرباديني، وكان متغالياً في التشيع، فجمع الشيعة وأقرأهم كتاب المهدي ليشيع الخبر في سائر قرى البحرين، فأجابوا كلهم وفيهم أبو سعيد الجنابي وكان من عظمائهم. ثم غاب عنهم يحيى بن المهدي مدة ورجع بكتاب المهدي يشكرهم على إجابتهم، وأمرهم أن يدفعوا ليحيى ستة دنانير وثلاثين عن كل رجل منهم ففعلوا. ثم غاب وجاء بكتاب آخر بأن يدفعوا إليه خمس أموالهم فدفعوا، وأقام يتردد في قبائل قيس. ثم أظهر أبو سعيد الجنابي الدعوة بالبحرين سنة ست وثمانين، واجتمع إليه القرامطة والأعراب، وقتلوا واستباحوا، وسار إلى القطيف طالباً البصرة، وبلغت النفقة فيه أربعة عشر ألف دينار. ثم قرب أبو سعيد من نواحي البصرة، وبعث المعتضد إليهم المدد مع عباس بن عمر الغنوي، وعزله عن فارس وأقطعه اليمامة والبحرين، وضم إليه ألفين من المقاتلة، وسار إلى البصرة وأكثر من الحشد جنداً ومتطوعة. فسار ولقي أبا سعيد الجنابي، ورجع من كانه معه من بني ضبة إلى البصرة. ثم كان اللقاء فهزمه الجنابي وأسره واحتوى على معسكره، وحرق الأسرى بالنار، وذلك في شعبان من هذه السنة. وسار إلى هجر فملكها وأمن أهلها ورجع إلى أهل البصرة، وبعثوا إليهم بالرواحل عليها الطعام والماء، فاعترضهم بنو أسد وأخذوا الرواحل وقتلوا الفل واضطربت البصرة وتشوف أهلها إلى الانتقال، فمنعهم الوثاقي، ثم أطلق الجنابي العباس الغنوي، فركب إلى الأبله وسار منها إلى بغداد، فخلع عليه المعتضد. وأمّا ظهورهم بالشام فإن داعيتهم ذكرويه بن مهرويه الذي جاء بكتاب المهدي إلى العراق لَمَّا رأى الجيوش متتابعة إلى القرامطة بالسواد، وأبادهم القتل، لحق بأعراب أسل وطيبىء، فلم يجبه. فبعث أولاده في كلب بن وبرة فلم يجبه منهم إلا بنو القليظي بن ضمضم بن عدي بن جناب، فبايعوا ذكرويه ويسمى يحيى ويكنى بأبي القاسم، ولقبوه الشيخ، وأنه من ولد إسماعيل الإمام بن جعفر الصادق، وأنه يحيى بن عبد الله بن يحيى بن إسماعيل. وزعم أن له مائة ألف تابع، وأن ناقته التي يركبها مأمورة فمن تبعها كان منصوراً. فقصدتهم شبلى مولى

المعتضد في العساكر من ناحية الرصافة فقتلوه. فسار إليهم شبيل مولى أحمد بن محمد الطائي فأوقع بهم. وجاء ببعض رؤسائهم أسيراً فأحضره المعتضد وقال له: هل تزعمون أن روح الله وأنبيائه تحل في أجسادكم فتعصمكم من الزلل، وتوفقكم لصالح العمل؟ فقال له: يا هذا أرايت أن حلت روح إبليس فما ينفعك؟ فاترك ما لا يعينك إلى ما يعينك. قال له فقل فيما يعينني؟ فقال له: قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوكم العباس حي فلم يطلب الأمر ولا بايعه. ثم مات أبو بكر واستخلف عمر وهو يرى العباس ولم يعهد إليه عمر ولا جعله من أهل الشورى، وكانوا ستة وفيهم الأقرب والأبعد، وهذا إجماع منهم على دفع جدك عنها. فيماذا تستحقون أتم الخلافة؟ فأمر به المعتضد فغذب وخلعت عظامه، ثم قطع مرتين، ثم قتل. ولما أوقح شبيل بالقرامطة بسواد الكوفة ساروا إلى الشام فانتهوا إلى دمشق، وعليها طغج بن جف مولى أحمد بن طولون من قبل ابنه هارون، فخرج إليهم فقاتلهم مراراً، هزموه في كلها. هذه أخبار بدايتهم. ونقبض العنان عنها إلى أن نذكر سياقتها عندما نعدد أخبارهم على شريطتنا في هذا الكتاب كما تقدم.

استيلاء ابن سامان علي خراسان من يد عمرو بن الليث وأسرهم ثم

مقتله:

لما تغلب عمرو بن الليث الصفار على خراسان من يد رافع بن الليث، وقتله وبعث برأسه إلى المعتضد، وطلب منه أن يوليه ما وراء النهر مضافاً إلى ولاية خراسان، كتب له بذلك فجهز الجيوش لمحاربة إسماعيل بن أحمد صاحب ما وراء النهر، وجعل عليهم محمد بن بشير من أخص أصحابه. وبعث معه القواد فانتهوا إلى آمد من شط جيحون، وعبر إليهم إسماعيل فهزمهم، وقتل محمد بن بشير في ستة آلاف، ولحق الفل بعمرو في نيسابور، فتجهز وسار إلى بلخ، وكتب إليه إسماعيل يستعطفه ويقول: أنا في ثغر وأنت في دنيا عريضة فاتركني واستند أفتني فأبى. وصعب على أصحابه عبور النهر لشذته، فعبر إسماعيل وأخذ الطرق على بلخ، وصار عمرو محصوراً. ثم اقتتلوا وانهزم عمرو وتسرب من بعض المسالك عن أصحابه، فوجد في أجمة وأخذ أسيراً. وبعث به إسماعيل إلى سمرقند ومن هناك إلى المعتضد سنة ثمان وثمانين، فحبسه إلى أن مات المعتضد سنة تسع بعدها فقتله ابنه المكتفي. وعقد لإسماعيل على

خراسان كما كانت لعمره، وكان عمرو عظيم السياسة، وكان يستكثر من المماليك ويجري عليهم الأرزاق ويفرقهم على قواده ليطالعه بأخبارهم. وكان شديد الهيبة، ولم يكن أحد يتجاسر أن يعاقب غلاماً ولا خادماً إلا أن يرفعه إلى حجابيه.

استيلاء ابن سامان علي طبرستان من يد العلوي ومقتله:

ولما بلغ محمد بن زيد العلوي صاحب طبرستان والديلم ما وقع بعمره بن الليث وأنه أسر طمع هو في خراسان ووطن أن ابن إسماعيل لا يتجاوز عمله، فسار إلى جرجان وبعث إليه إسماعيل بالكف فأبى، فجهز لحره محمد بن هارون، وكان من قواد رافع بن الليث. واستأمن إلى عمرو ثم إلى إسماعيل فنظمه في قواده وندبه الآن لحرب محمد بن زيد، فسار لذلك. ولقيه على باب خراسان. فاقتلوا قتالاً شديداً، وانهزم محمد بن هارون أولاً، وافتترقت عساكر محمد بن زيد على النهب ثم رجع هو وأصحابه، وانهزم محمد بن زيد وجرح جراحات فاحشة هلك منها لأيام وأسر ابنه زيد وبعث به إسماعيل إلى بخارى واجترأ عليه وغنم ابن هارون معسكرهم ثم سار إلى طبرستان فملكها، وصار خراسان وطبرستان لبني سامان، واتصلت لهم دولة نذكر سياقة أخبارها عند أفراد دولتهم بالذكر كما شرطناه في تأليفنا.

ولاية علي بن المعتضد علي الجزيرة والثغور:

ولما ملك المعتضد آمد من يد ابن الشيخ كما قدمناه، سار إلى الرقة وتسلم قنسرين والعواصم من يد عمال هارون بن خمارويه، لأنه كان كتب إليه أن يقاطعه على الشام ومصر ويسلم إليه أعمال قنسرين، ويحمل إليه أربعمئة ألف دينار وخمسين ألفاً. فأجابوه وسار من آمد إلى الرقة فأنزل ابنه علياً الذي لقبه بعد ذلك بالمكتفي وعقد له على الجزيرة وقنسرين والعواصم سنة ست وثمانين. واستكف له الحسن بن عمر النصراني واستقدم وهو بالرقة راغباً مولى الموفق من طرسوس، فقدم عليه وحبسه وحبس ملنون غلامه واستصفى أموالهما. ومات راغب لأيام من حبسه، وقد كان راغب استبد بطرسوس وترك الدعاء لهارون بن خمارويه، ودعا ليدر مولى المعتضد. ولما جاء أحمد بن طبان للغز سنة ثلاث وثمانين تنازع معه راغب، فركب أحمد البحر في

رجوعه ولم يعرج على طرسوس، وترك بها دميانة غلام بازيار وأمه فقوي وأنكر على راغب أفعاله بحمل دميانة إلى بغداد، واستبَدَّ راغب وبادر إلى استدعاء المعتضد ونكبه كما قلناه، ووَلَّى ابن الأخشاء على طرسوس فمات لسنة. واستخلف أبا ثابت وخرج سنة سبع وثمانين غازياً، فأسر ووَلَّى الناس عليهم مكانه علي بن الأعرابي، ولحق بملطية في هذه السنة وصيف مولى محمد بن أبي السَّاج صاحب بردعة، وكتب إلى المعتمد يسأله ولاية الثغور وقد وطأ صاحبه أن يسير إليه إذا وليها فيقصدان ابن طولون ويملكان مصر من يده وظهر المعتضد على ذلك فسار لاعتراضه، وقدم العساكر بين يديه فأخذه بعين زرية وجاؤا به إلى المعتضد فحبسه، وأمن عسكره ورجل إلى قرب طرسوس، واستدعى رؤساءها وقبض عليهم بمكاتبتهم وصيفاً، وأمر بإحراق مراكب طرسوس بإشارة دميانة، واستعمل على أهل الثغور الحسن بن علي كوره وسار إلى أنطاكية وحلب ورجع منها إلى بغداد وقتل وصيفاً وصلبه. واستقدم المكتفي بعد وفاة المعتضد الحسن بن علي ووَلَّى على الثغور مظفر بن حاج. ثم شكوا أهل الثغر منه فعزله ووَلَّى أبا العشائر بن أحمد بن نصر سنة تسعين.

حرب الأعراب:

وفي سنة ست وثمانين اعترضت طيء ركب الحاج بالأجير، وقاتلوه ونهبوا أموال التجار ما قيمته ألف ألف دينار، ثم اعترضوا الحاج كذلك سنة تسع وثمانين بالقرن فهزمهم الحاج وسلموا.

تغلب ابن الليث على فارس وإخراج بدر إياه:

وفي فاتح ثمان وثمانين جاء طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث في العساكر إلى بلاد فارس، وأخرج منها عامل المعتضد، وهو عيسى النوشري كان على أصبهان فولاه المعتضد فارس، فسار إليها فجاءه طاهر وملكها. وكتب إليه إسماعيل صاحب ما وراء النهر بأن المعتضد ولاه سجستان لذلك، وعقد المعتضد لبدر مولاة علي فارس، وهرب عمال طاهر عنها وملكها بدر وجبى خراجها. ثم مات المعتضد وسار مغزباً عن فارس، فقتل بواسطة وقاطع طاهر بلاد فارس على مال يحمله، فقلده المكتفي ولايتها سنة تسعين.

الولايات في النواحي:

كان أكثر النواحي في دولة المعتضد مغلباً عليها كخراسان وما وراء النهر لابن سامان، والبحرين للقرامطة ومصر لابن طولون وأفريقية لابن الأغلب، وقد ذكرنا من ولي الموصل. وفي سنة خمس وثمانين وُلِّي المعتضد عليها وعلى الجزيرة والثغور الشامية * موله. ثم ملك آمد من يد ابن الشيخ وجعلها لابنه علي المكتفي وأنزله الرقة كما ذكرناه وعقد له على الثغور. ثم عقد بعده للحسن بن علي كوره، وولَّى على فارس بدراناً موله. ومات إسحاق بن أيوب بن عمر بن الخطاب الثعلبي العدوي أمير ديار ربيعة، فولى المعتضد مكانه عبْد الله بن الهيثم بن عبْد الله بن المعمر. وفي سنة ثمان وثمانين ظهر باليمن بعض العلويين وتغلب على صنعاء، فجمع له بنو يعفر وقتلوه فهزموه وأسروا ابنه، وتجاوى نحو خمسين فارساً، وملك بنو يعفر صنعاء وخطبوا فيها للمعتضد، وهلك ابن أبي السَّاح في هذه السنة، فولى أصحابه ابنه ديوداد. ونازعه عمه يوسف بن رافع بابن أخيه وهزمه ومضى إلى بغداد على طريق الموصل، واستقل يوسف بملك أذربيجان، وعرض على ابن أخيه المقام عنده فأبى وقلد المعتضد لأول خلافته ديوان المشرق لمحمد بن داود بن الجراح، عوضاً عن أحمد بن محمد بن الفرات، وديوان المغرب على بن عيسى بن داود بن الجراح، ومات وزيره عبيد الله بن سليمان بن وهب فولى ابنه أبا القاسم مكانه.

الصوائف:

وفي سنة خمس وثمانين غزا راغب مولى الموفق من طرسوس في البحر، فغنم مراكب الروم، قتل فيها نحواً من ثلاثة آلاف وأحرقها. وخرج الروم سنة سبع وثمانين ونازلوا طرسوس فقاتلهم أميرها واتبعهم إلى نهر الرحال فأسروه. وفي سنة ثمان وثمانين بعث الحسن بن علي كوره صاحب الثغور بالصائفة، فغزا وفتح حصوناً كثيرة وعاد بالأسرى، فخرج الروم في أثره براً وبحراً إلى كيسوم من نواحي حلب، فأسروا نحواً من خمسة عشر ألفاً ورجعوا.

وفاة المعتضد وبيعة ابنه:

كان بدر مولى المعتضد عظيم دولته، وكان القاسم بن عبيد الله الوزير يروم نقل الخلافة في غير بني المعتضد، وفاوض في ذلك بدرًا أيام المعتضد فأبى، ولم يمكن القاسم مخالفته. فلما مات المعتضد كان بدر بفارس بعثه إليها المعتضد لِمَا بلغه أن طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث غلب عليها فبعث بدرًا وولاه. فلما مات عقد الوزير البيعة لابنه المكتفي وخشى من بدر فيما اطلع عليه منه، فأعمل الحيلة في أمره. وكان المكتفي أيضاً يحقد لبدر كثيراً من منازعة معه أيام أبيه، فدرس الوزير إلى القواد الذين مع بدر بمفارقتهم، ففارقهم العباس بن عمر الغنوي ومحمد بن إسحاق بن كنداج وخاقان العلجي وغيرهم، فأحسن الملتقى إليهم، وسار بدر إلى واسط، فوكل المكتفي بداره وقبض على أصحابه وأمر بمحو إسمه من الفرائش والأعلام. وبعث الحسن بن علي كوره في جيش إلى واسط، وعرض على بدر ما شاء من النواحي، فقال: لا بد لي أن اشافه مولاي بالقول، فخوف الوزير المكتفي خائنته ومنعه من ذلك، وشعر أن بدرًا بعث عن ابنه هلال فوكل به. ثم بعث الوزير عن القاضي أبي عمر المالكي وحمله الأمان إلى بدر، فجاء بأمانه وبعث الوزير من اعترضه بالطريق فقتله لست خلون من رمضان، وحمل أهله شلوه إلى مكة فدفن بها لوصيته بذلك وحزن القاضي أبو عمر لاختفاره ذمته.

استيلاء محمد بن هارون علي الرِّيِّ ثم أسره وقتله :

قد تقدم لنا ذكر محمد بن هارون، وأنه كان من قواد رافع بن هرثمة، ونظمه إسماعيل بن أحمد صاحب ما وراء النهر في قواده وبعثه لحرب محمد بن زيد فهزمه واستولى على طبرستان، وولاه إسماعيل عليها. ثم انتقض ودعا بدعوة العلوية وبيض وساعده ابن حسان الديلمي. وبعث إسماعيل العساكر لقتال ابن حسان فهزموه. وكان علي الرِّيِّ من قبل المكتفي أغرتمش التركي، فأساء السيرة فبعث أهل الرِّيِّ إلى محمد بن هارون أن يسير إليهم ويولوه، فسار وحارب أغرتمش فهزمه وقتله، وقتل أبنيه وأخاه

كيغلق من القواد واستولى على الرّيّ وبعث المكتفي مولاه خاقان المفلحي لولاية الرّيّ في جيش كثيف فلم يصلها، وبعث المكتفي إلى إسماعيل بولايته ومحاربة محمد بن هارون، فسار إسماعيل إليه وهزمه، فخرج عن الرّيّ إلى قزوين وزنجان. ثم لحق بطبرستان واستقر مع ابنه مستجيزاً، ولما ملك إسماعيل الرّيّ ولى على جرجان مولاه نارس الكبير، والزمه إحصار محمد بن هارون فكاتبه نارس وضمن له صلاح الحال، فقبل وانصرف عن الديلم إلى بخارى، فبعث إسماعيل من اعترضه وحمل إلى بخارى مقيداً فمات في الحبس بعد شهر وذلك في شعبان سنة تسعين.

استيلاء المكتفي علي مصر وانقراض دولة ابن طولون:

كان محمد بن سليمان من قواد بني طولون وكاتب جيشهم واستوحش منهم، فلحق بالمعتضد وصرّفه في الخدم، وكانت القرامطة عاثوا في بلاد الشام وحاصروا عامل بني طولون بدمشق وهو طغج بن جف، وقتلوا قواده. وسار المكتفي إليهم فنزل الرقة وبعث محمد بن سليمان لحربهم ومعه الحسن بن حمدان والعساكر وبنو شيبان، فلقبهم قرب حماة فهزمهم واتبعهم إلى الكوفة. وقبض في طريقه على أميرهم صاحب الشامّة فبعث به إلى المكتفي، فرجع إلى بغداد، وخلف محمد بن سليمان في العساكر فتبعهم وأسر جماعة منهم. وبجما هو يروم العود إلى بغداد جاءه كتاب بدر الحمامي مولى هارون بن خمارويه ومحمد فائق صاحب دمشق يستقدمانه إلى البلاد لعجز هارون عنها، فأنهاى ذلك محمد بن سليمان عند عوده إلى المكتفي فأعادته وأمده بالجنود والأموال، وبعث دميانة غلام بازبار في الاسطول ليدخل من فوهة النيل ويحاصر مصر، ولما وصل ودنا من مصر كاتب القواد، وخرج إليه رئيسهم بدر الحمامي وتتابع منهم جماعة، وبرز هارون لقتاله فخاربه أياماً. ثم وقعت بعض الأيام في عسكره هبة ركب لها ليسكنها فأصابته حربة مات منها، واجتمع أصحابه على عمه شيبان وبذل الأموال فقاتلوا معه. ثم جاءهم كتاب محمد بن سليمان بالأمان فأجابوه، وخالف شيبان إلى مصر فاستولى عليها وأستأمن إليه شيبان سرّاً فأمنه ولحق به. ثم قبض على بني طولون وحبسهم واستصفى أموالهم وذلك في صفر سنة إثنين وتسعين، وأمره المكتفي بإزالة آل طولون وأشياهم من مصر والشام ففعل.

وسار بهم إلى بغداد وولى المكتفي على مصر عيسى النوشري وخرج عليه إبراهيم الخليجي من قواد بني طولون يخلف عن محمد بن سليمان، فخلفه وكثر جمعه وسار النوشري إلى الاسكندرية عجزاً عن مدافعته، واستولى الخليجي على مصر وبعث المكتفي بالجنود مع فاتك مولى المعتضد، وأحمد بن كيغلق وبدر الحمامي من قواد بني طولون، فوصلوا سنة ثلاث وتسعين، وتقدم أحمد بن كيغلق وجماعة من القواد فلقبهم قرب العريش فهزموهم وقوى الأمر، وبلغ الخبر إلى المكتفي فعسكر ظاهر بغداد، وانتهى مدة إلى تكريت فلقبه كتاب فاتك في شعبان يذكر أنهم هزموا الخليجي بعد حروب متصلة، وغنموا عسكره. ثم هرب واختفى بفسطاط مصر وجاء من دل عليه، فأمر المكتفي بحمله ومن معه إلى بغداد فبعثوا بهم وحبسوا.

دولة بني حمدان

ابتداء دولة بني حمدان:

وفي سنة إثنين وتسعين عقد المكتفي على الموصل وأعمالها لأبي الهيجاء عبْد الله بن حمدان بن حمدون العدوي الثعلبي، فقدمها أول المحرم، وجاء الصريح من نينوى بأن الأكراد الهدبانية ومقدمهم محمد بن سلال قد أغاروا على البلاد وعانوا، فخرج في العساكر وعبر الجسر إلى الجانب الشرقي. ولقيهم على الحارد فقاتلهم وقتل من قواد سليمان الحمداني ورجع عنهم، وبعث إلى الخليفة يستمده فأبطأ عليه المدد إلى ربيع من سنة أربع؛ فلما جاءه المدد سار إلى الهدبانية وهم مجتمعون في خمسة آلاف بيت فارتحلوا أمامه واعتصموا بجبل السلق المشرف على الزاب، فحاصروهم وعرفوا حقه فخذله أميرهم محمد بن سلال بالمراسلة في الطاعة والرهن وحث أصحابه خلال ذلك في المسير إلى أذربيجان، وأتبعهم أبو الهيجاء فلحقهم صاعداً إلى جبل القنديل، فنال منهم، وامتنعوا بذروته.

ورجع أبو الهيجاء عنهم فلحقوا بأذربيجان، ووفد أبو الهيجاء على المكتفي فأنجده بالعسكر وعاد إلى الموصل. ثم سار إلى الأكراد بجبل السلف فدخله وحاصروهم بقنته، وطال حصارهم واشتد البرد وعدمت الأقوات، وطلب محمد بن سلال النجاة بأهله

ولده، فنجا واستولى ابن حمدان على أموالهم وأهليهم وأمنهم. ثم استأمن محمد بن سلال فأمنه وحضر عنده وأقام بالموصل وتتابع الأكراد الحميدية مستأمنين، واستقام أمر أبي الهيجاء بالموصل. ثم انتقض سنة إحدى وثلاثمائة، فبعث إليه المُقْتَدِرُ مؤنساً الخادم، فجاء بنفسه مستأمناً، ورجع به إلى بغداد، فقبله المُقْتَدِرُ وأكرمه. وبقي ببغداد إلى أن انتقض أخوه الحسين بديار ربيعة سنة ثلاث وثلاثمائة، وسارت العساكر فجاؤوا به أسيراً. فحبس المُقْتَدِرُ عند ذلك أبا الهيجاء وأولاده، وجمع إخوته بداره ثم أطلقهم سنة خمس وثلاثمائة.

أخبار ابن الليث بفارس:

قد تقدم لنا استقلال طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث ببلاد فارس، وأن المكتفي عقد له عليها سنة تسعين، ثم أنه تشاغل باللهو والصيد، وأعرض عن أمور ملكه. ومضى في بعض الأيام إلى سجستان فوثب على فارس الليث بن عليّ بن الليث، وسيكرى مولى عمرو بن الليث، فاستوحش منهما أحد قوادهما يعرف بأبي قابوس، وفارقهما إلى بغداد. وأحسن المكتفي إليه. ثم كتب إليه طاهر في رد أبي قابوس إليه، ويحتسب له ما معه من أموال الجباية فأعرض الخليفة عن ذلك.

الصوائف:

وفي سنة إحدى وتسعين خرج الروم إلى الثغور في مائة ألف، وقصد جماعة منهم الحدث. ثم غزا بالصائفة من طرسوس القائد المعروف غلام زرافة، ففتح مدينة أنطاكية وفتحها عنوة فقتل خمسة آلاف من مقاتلتهم وأسر مثلها. واستنقذ من أسرى المسلمين مثلها، وغنم ستين من مراكب الروم بما فيها من المال والمتاع والرقيق، فقسمها مع غنائم أنطاكية، فكان السهم ألف دينار وفي سنة إثنين وتسعين أغار الروم على مرعش ونواحيها، فخرج أهل المصيصة وأهل طرسوس فأصيب منهم جماعة، فعزل المكتفي أبا العشائر على الثغور، وولى رستم بن برد، فكان على يديه الفداء، وفودي ألف من المسلمين. ثم أغارت الروم سنة ثلاث وتسعين على موارس من أعمال حلب، وقاتلهم أهلها فانهزموا وقتل منهم خلق، ودخلها الروم فأحرقوا جامعها وأخذوا من بقي فيها. وفي سنة أربع وتسعين غزا ابن كيغلق من طرسوس فأصاب من الروم أربعة آلاف سبياً، واستأمن بطريق من الروم فأسلم. ثم عاود ابن

كيبلغ الغزو، وبلغ سكند وافتتحها، وسار إلى الليس فبلغ خمسين ألف رأس، وقتل من الروم خلقاً ثم استأمن البطريق المتولي الثغور من جهة الروم إلى المكتفي، وخرج بمائتي أسير من المسلمين. وكان ملك الروم قد شعر بأمره وبعث من يقبض عليه، فقتل الأسرى المسلمون من جاء للقبض عليه وغنموا عسكرهم. واجتمع الروم على محاربة البطريق انذوقس، وزحف المسلمون لخلصه وخلصوا من معه من الأسرى فبلغوا قونية وخربوها وانصرف الروم ومر المسلمون في طريقهم بحصن أندوس، فخرج معهم بأهله، وسار إلى بغداد. وفي سنة إحدى وتسعين خرج الترك إلى ما وراء النهر في خلقٍ لا يحصون، فبعث إليهم إسماعيل عسكرياً عظيماً من الجند والمتطوعة فكبسوهم واستباحوهم. وفي سنة ثلاث وتسعين افتتح إسماعيل مدائن كثيرة من بلاد الترك والديلم.

الولايات بالنواحي:

قد ذكرنا ولايات خاقان المفلحيّ على الري، ثم إسماعيل بن أحمد بن سامان بعده، وولاية عيسى النوشري على مصر بعد انتزاعها من بني طولون، وولاية أبي العشائر أحمد بن نصر على طرسوس، وعزل مظفر بن حاج عنها سنة تسعين، ثم عزل أبي العشائر وولاية رستم بن برد، سنة إثنين وتسعين. وانتزاع الليث بن علي بن الليث بلاد فارس من يد طاهر بن محمد سنة ثلاث وتسعين بعد أن كان المكتفي عقد له عليها سنة تسعين، وولاية أبي الهيجاء عبيد الله بن حمدان على الموصل سنة ثلاث وتسعين. وفي هذه السنة ثار داعية القرامطة باليمن إلى صنعاء فملكها واستباحها، وتغلب على كثير من مدن اليمن. وبعث المكتفي مظفر بن الحاج في شوال من هذه السنة إلى عمله باليمن فأقام به. وفي سنة إحدى وتسعين ترفي الوزير أبو القاسم بن عبيد الله، واستوزر مكانه العباس بن الحسن.

وفاة المكتفي وبيعة المُقْتَدِر:

ثم توفي المكتفي بالله أبو محمد علي بن المعتضد في شهر جمادى سنة خمس وتسعين لست سنين ونصف من ولايته، ودفن بدار محمد بن طاهر من بغداد بعد أن عهد

بالأمر إلى أخيه جعفر. وكان الوزير العباس بن الحسن قد استشار أصحابه فيمن يوليه، فأشار محمد بن داود بن الجراح بعبد الله بن المعتز، ووصفه بالعقل والرأي والأدب وأشار أبو الحسين بن محمد بن الفرات بجعفر بن المعتضد، بعد أن أطال في مفاوضته وقال له: اتق الله ولا تول إلا من خبرته، ولا تؤذ البخيل فيضيع على الناس في الأرزاق، ولا الطماع فيشره إلى أموال الناس، ولا المتهاون بالدين فلا يجتنب المآثم ولا يطلب الثواب. ولا تول من خير الناس وعاملهم وأطلع على أحوالهم، فيستكثر على الناس نعمهم، وأصلح الموجودين مع ذلك جعفر بن المعتضد. قال ويحك وهو صبي! فقال وما حاجتنا بمن لا يحتاج إلينا ويستبد علينا؟ ثم استشار علي بن عيسى فقال: اتق الله وانظر من يصلح. فمالت نفس الوزير إلى جعفر كما أشار ابن الفرات، وكما أوصى أخوه، فبعث صائفاً الخدمي فأتى به من داره بالجانب الغربي، ثم خشي عليه عائلة الوزير فتركه في الحُرَاقَة، وجاء إلى دار الخلافة فأخذ له البيعة على الحاشية. ثم جاء به، من الحُرَاقَة وأقعدته على الأريكة. وجاء الوزير والقواد فبايعوه، ولقّب المُقْتَدِر بالله وأطلق يد الوزير في المال وكان خمسة عشر ألف دينار، فأخرج منه حق البيعة واستقام الأمر.

خلع المُقْتَدِرِ بابن المعتز وإعادته:

ولما بوع المُقْتَدِرِ وكان عمره ثلاث عشرة سنة إستصغره الناس، وأجمع الوزير خله والبيعة لأبي عَبدَ الله محمد بن المعتز وراسله في ذلك، فأجاب وانتظر قدوم نارس حاجب إسماعيل بن سامان، كان قد انتقص إلى مولاه وسار عنه، فاستأذن في القدوم إلى بغداد وأذن له. وقصد الاستعانة به على موالى المعتضد. وأبطأ نارس عليه، وهلك أبو عَبدَ الله بن المُقْتَدِرِ خلال ذلك فصرف الوزير وجهه لأبي الحسين بن الموكل فمات، فأقر المُقْتَدِرِ، ثم بدا له وأجمع عزله، واجتمع لذلك مع القواد والقضاة والكتاب وراسلوا عَبدَ الله بين المعتز فأجابهم على أن لا يكون قتال. فأخبروه باتفاقهم وأن لا منازع لهم. وكان المتولون لذلك الوزير العباس بن الحسين ومحمد بن داود بن الجراح وأبا المثنى أحمد بن يعقوب القاضي، ومن القواد الحسين بن حمدان

وبدر الأعجمي ووصيف بن صوارتكين. ثم رأى الوزير أمره صالحاً مع المُقْتَدِر فبداله في ذلك فأجمع الآخرون أمرهم، واعترضه الحسين بن حمدان وبدر الأعجمي ووصيف في طريق لستانة، فقتلوه لعشر بقين من ربيع الأول سنة ست وتسعين، وخلعوا المُقْتَدِر من الغد وبايعوا لابن المعتز، وكان المُقْتَدِر في الحلبة يلعب الأكرة، فلما بلغه قتل الوزير دخل الدار وأغلق الأبواب، وجاء الحسين بن حمدان إلى الحلبة ليفتك به فلم يجده، فقدم وأحضروا ابن المعتز فبايعوه، وحضر الناس والقواد وأرباب الدواوين سوى أبي الحسن بن الفرات وخواص المُقْتَدِر فلم يحضروا. ولقب ابن المعتز المرتضى بالله، واستوزر محمد بن داود بن الجراح، وقلد علي بن موسى الدواوين، وبعث إلى المُقْتَدِر بالخروج من دار الخلافة، فطلب الإمهال إلى الليل. وقال مؤنس الخادم، ومؤنس الخازن، وعربت الحال وسائر الحاشية لا بد أن يبدي عذراً فيما أصابنا. وباكر الحسين بن حمدان من الغد دار الخلافة، فقاتله الغلمان والخدم من وراء السور وانصرف. فلما جاء الليل سار إلى الموصل بأهله، وأجمع رأي أصحاب المُقْتَدِر على قصد ابن المعتز في داره، فتسلحوا وركبوا في دجلة، فلما رأهم أصحاب ابن المعتز اضطربوا وهربوا، واتهموا الحسين بن حمدان أنه قد وطأ المُقْتَدِر عليهم، وركب ابن المعتز ووزيره محمد بن داود بن الجراح وخرجوا إلى الصحراء ظناً منهم أن الجند الذين بايعوهم يخرجون معهم، وأنهم يلحقون بسامرا فيمتنعون، فلما تفردوا بالصحراء رجعوا إلى البلد وتسربوا في الدور واختفى ابن الجراح في داره، ودخل ابن المعتز ومولاه دار أبي عَبد الله بن الجصاص مستجيراً به. وثار العيارون والسفل ينتهبون. وفسا القتل، وركب ابن عمرويه صاحب الشرطة، وكان بايع ابن المعتز فنأدى بثأر المُقْتَدِر مغالطاً، فقاتله فهرب واستتر، وأمر المُقْتَدِر مؤنساً الخازن، فزحف في العسكر وقبض على وصيف بن صوارتكين، فقتله وقبض على القاضي أبي عمر علي بن عيسى، والقاضي محمد بن خلف. ثم أطلقهم وقبض على القاضي أبي المثنى أحمد بن يعقوب قال له بايع المُقْتَدِر! قال هو صبي، فقتله وبعث المُقْتَدِر إلى أبي الحسن بن الفرات كان مختفياً فأحضره واستوزره. وجاء سوسن خادم ابن الجصاص فأخبر صافياً الخُرُمي مولى المُقْتَدِر بمكانه عندهم، فكبست الدار وأخذ ابن المعتز وحبس إلى الليل، ثم خصيت خصيتاه فمات وسلم إلى أهله، وأخذ

ابن الجصاص وصور على مال كثير، وأخذ محمد بن داود وزير ابن المعتز وكان مستتراً فقتل. ونفي علي بن عيسى بن علي إلى واسط، واستأذن من ابن الفرات في المسير إلى مكة، فسار إليها على طريق البصرة وأقام بها، وصور القاضي أبو عمر على مائة ألف دينار، وسارت العساكر في طلب الحسين بن حمدان إلى الموصل فلم يظفروا به، وشفع الوزير ابن الفرات في ابن عمرويه صاحب الشرطة وإبراهيم بن كيغلق وغيرهم. وبسط ابن الفرات الإحسان وأدر الأرزاق للعباسيين والطلبين، وأرضى القواد بالأموال، ففرق معظم ما كان في بيت المال، وبعث المُقْتَدِر القاسم بن سيما وجماعة من القواد في طلب الحسين بن حمدان، فبلغوا قرقيسيا والرحبة ولم يظفروا به، وكتب المُقْتَدِر إلى أخيه أبي الهيجاء وهو عامل الموصل بطلبه فسار مع القاسم بن سيما والقواد ولقوه عند تكريت فهزموه، وبعث مع أخيه إبراهيم يستأمن فأمنوه وجاءوا به إلى بغداد، فخلع عليه المُقْتَدِر وعقد له على قم وقاشان، وعزل عنها العباس بن عمر الغنوي فسار إليها الحسين، ووصل نارس مولى إسماعيل بن سامان فقلده المُقْتَدِر ديار ربيعة.

ابتداء دولة العبيديين من الشيعة بأفريقية:

نسبة هؤلاء العبيديين إلى أول خلفائهم، وهو عبيد الله المهدي بن محمد الحبيب بن جعفر المصدق ابن محمد المكتوم ابن إسماعيل الإمام ابن جعفر الصادق، ولا يلتفت لإنكار هذا النسب، لكتاب المعتضد إلى ابن الأغلب بالقيروان وابن مدرار بسلمجاسة يغريهم بالقبض عليه لما سار إلى المغرب شاهداً بصحة نسبهم وشعر الشريف الرضي في قوله:

ألبس الذل في بلاد الأعادي بمصر الخليفة العلوي

من أبوه أبي ومولاه مولاي

إذا ضامني البعيد القصي

لف عرقي بعرقه سيداً لناس

جميعاً، محمد وعلي

وأما المحضر الذي ثبت ببغداد أيام القادر بالقدح في نسبهم، وشدّ فيه أعلام الأئمة مثل القدوري والصهيري وأبي العباس الأبيوردي وأبي حامد الأسفرايني وأبي الفضل النسوي وأبي جعفر النسفي، ومن العلوية المرتضى وابن

البطحاوي وابن الأزرقي، وزعيم الشيعة أبو عبد الله بن النعمان، فهي شهادة على السماع. وكان ذلك متصلاً في دولة العباسية منذ مائتين من السنين فاشياً في أمصارهم وأعصارهم. والشهادة على السماع في مثله جائزة على أنها شهادة نفي، ولا تعارض ما ثبت في كتاب المعتضد مع أن طبيعة الوجود في الانقياد لهم، وظهور كلمتهم أدل شيء على صدق نسيهم. وأما من جعل نسيهم في اليهودية أو النصرانية لميمون القداح وغيره فكفاه إثمًا تعرضه لذلك. وأما دعوتهم التي كانوا يدعون لها فقد تقدم ذكرها في مذاهب الشيعة من مقدمة الكتاب. وانقسمت مذاهب الشيعة مع اتفاقهم على تفضيل عليّ على جميع الصحابة إلى الزيدية القائلين بصحة إمامة الشيخين مع فضل علي، ويجوزون إمامة المفضول، وهو مذهب زيد الشهيد وأتباعه، والرافضة ويدعون بالإمامية المتبرئين من الشيخين بإهمالهما وصية النبي بخلافة عليّ. مع أن هذه الوصية لم تنقل من طريق صحيح قال بها أحد من السلف الذين يقتدى بهم، وإنما هي من أوضاع الرافضة. وانقسم الرافضة بعد ذلك إلى إثني عشرية نقلوا الخلافة من جعفر بعد الحسن والحسين وعليّ زين العابدين ومحمد الباقر وجعفر الصادق إلى ابنه موسى الكاظم وولده على سلسلة واحدة إلى تمام الإثني عشر، وهو محمد المهدي، وزعموا أنه دخل سرداباً وهم في انتظاره إلى الآن. وإلى الإسماعيلية نقلوا الخلافة من جعفر الصادق إلى ابنه إسماعيل، ثم ساقوها في عقبه فمنهم من انتهى بها إلى عبيد الله هذا المهدي، وهم العبيديون، ومنهم من ساقها إلى يحيى بن عبيد الله بن محمد المكتوم. وهؤلاء طائفة من القرامطة وهي من كذباتهم، ولا يعرف لمحمد بن إسماعيل ولد إسمه عبيد الله. وكان شيعة هؤلاء العبيديين بالمشرق واليمن وأفريقية. وسار بها إلى أفريقية رجلان يعرف أحدهما بالحلواني والآخر بالسفياني أنفذهما الشيعة إلى هنالك وقالوا لهما أن العرب أرض بور فاذهبوا واجرثاها حتى يحيا صاحب البذر، وسارا لذلك ونزلا أرض كتامة أحدهما ببلد يسمى سوق حمار. وفشت هذه الدعوة منهما في أهل تلك النواحي من البربر وخصوصاً في كتامة. وكانوا يزعمون أن النبي أوصى إلى علي بالخلافة بالنصوص الجليّة، وعدل عنها الصحابة إلى غيره فوجب البراءة ممن عدل عنها. ثم أوصى علي إلى ابنه الحسن، ثم الحسن إلى أخيه الحسين، ثم الحسين إلى ابنه عليّ زين العابدين، ثم زين العابدين إلى ابنه محمد الباقر، ثم محمد

الباقر إلى ابنه جعفر الصادق، ثم جعفر الصادق إلى ابنه إسماعيل الإمام، ومنه إلى ابنه محمد، ويسمونه المكنوم لأنهم كانوا يكتمون إسمه حذراً عليه. ثم أوصى محمد المكنوم إلى ابنه جعفر المصدق، وجعفر المصدق إلى ابنه محمد الحبيب، ومحمد الحبيب إلى ابنه عبيد الله المهدي الذي دعا له أبو عبد الله الشيعي. وكانت شيعهم منتشرين في الأرض من اليمن إلى الحجاز والبحرين والطرق وخراسان والكوفة والبصرة والطاقان. وكان محمد الحبيب ينزل سَلْمِيَّةَ من أرض حمص، وكان عادتهم في كل ناحية يدعون للرضا من آل محمد، ويرومون إظهار الدعوة بحسب ما عليهم. وكان الشيعة من النواحي يعلمون مكثهم في أكبر الأوقات لزيارة قبر الحسين، ثم يعرجون على سَلْمِيَّةَ لزيارة الأئمة من ولد إسماعيل - وكافي باليمن من شيعتهم. ثم بعده لأئمة قوم يعرفون بيني موسى، ورجل آخر يعرف بمحمد بن الفضل أصله من جند. وجاء محمد إلى زيارة الإمام محمد الحبيب، فبعث معه أصحابه رستم بن الحسين بن حوشب بن داود النجار، وهو كوفي الأصل، وأمره بإقامة الدعوة، وأن المهدي خارج في هذا الوقت، فسار إلى اليمن ونزل على بني موسى وأظهر الدعوة هنالك للمهدي من آل محمد الذي ينعونه بالنعوت المعروفة عندهم، فاتبعه واستولى على كثير من نواحي اليمن. وكان أبو عبد الله الحسن بن أحمد بن محمد بن زكريا المعروف بالمحتسب، وكان محتسباً بالبصرة. وقيل إنما المحتسب أخوه أبو العباس المخطوم، وأبو عبد الله يعرف بالعلم لأنه كان يعرف مذهب الإمامية الباطنية قد اتصل بالإمام محمد الحبيب وخبر أهليته، فأرسله إلى أبي حوشب، ولزم مجالسته وأفاد علمه. ثم بعثه مع الحاج اليمني إلى مكة، وبعث معه عبد الله بن أبي مُلأ، فأتى الموسم ولقي به رجالات كتامة مثل حريث الحُمَيْلِيّ وموسى بن مكاد، فاختلف بهم وعكفوا عليه لَمَّا رأوا عنده من العبادة والزهد، ووجه إليهم بديراً من ذلك المذهب، فاغتبطوا وارتحل معهم إلى بلدهم ونزل بها منتصف ربيع سنة ثمان وثلاثين، وعين لهم مكان منزله بفتح الأحار وأن النص عنده من المهدي بذلك، ولجهره بالمهدي وأن أنصاره الاخيار من أهل زمانه، وأن إسم أنصاره مشتق من الكتمان ولم يعينه، واجتمع لمناظرته كثير من أهل كتامة فأبى ثم أطاعوه بعد فتن وحروب. واجتمعوا على دعوته وكانوا يسمونه أبا عبد الله المشرفي والشيعي. ولما اختلف كتامة عليه واجتمع كثير منهم على قتله قام بنصرته الحسن بن هارون، وسار به

إلى جبل إيكجان وأنزله مدينة تاصروت من بلد زرارة، وقاتل من لم يتبعه بمن تبعه حتى استقاموا جميعاً على طاعته. وبلغ خبره إبراهيم بن أحمد بن الأغلّب عامل أفريقية بالقيروان، فأرسل إلى عامل ميلة يسأله عن أمره فحقره وذكر أنه رجل يلبس الخشن، ويأمر بالعبادة والخير، فأعرض عنه حتى إذا اجتمع لأبي عبّد الله أمره، زحف في قبائل كتامة إلى بلد ميلة فملكها على الأمان بعد الحصار، فبعث إبراهيم بن أحمد بن الأغلّب ابنه الأحول في عسكرهم يجاوز عشرين ألفاً، فهزم كتامة وامتنع أبو عبّد الله بجبل إيكجان، وأحرق الأحول مدينة تاصروت ومدينة ميلة، وعاد إلى أفريقية وبنى أبو عبّد الله بجبل إيكجان مدينة سماها دار الهجرة. ثم توفي إبراهيم بن الأغلّب صاحب أفريقية وولّى ابنه أبو العباس، وقتل واستقر الأمر لزيادة الله، وكان الأحول حمل العساكر لحضوره فاستقدمه زيادة الله وقتله.

وفاة الحبيب وايساؤه لابنه عبيد الله:

ولما توفي محمد الحبيب وأوصى لابنه عبيد الله، وقال له: أنت المهدي، وتهاجر بعدي هجرةً بعيدةً، وترى محناً شديدةً. فقام عبيد الله بالأمر وانتشرت دعوته. وأرسل إليه أبو عبّد الله الشيعي رجالاً من كتامة يخبرونه بما فتح الله عليهم، وأنهم في انتظاره. وشاع خبره وطلبه المكتفي فهرب هو وولده نزار الذي ولّى بعده، وتلقب بالقائم. وخرج معه خاصته ومواليه يريد المغرب. وانتهى إلى مصر وعليها يومئذ عيسى النوشري، فلبس عبيد الله زي التجار يتسّر به. وجاء كتاب المكتفي للنوشري بالقبض عليه، وفيه صفته وجليته، فبعث العيون في طلبه. ونمي الخبر بذلك إلى عبيد الله من بعض خواص النوشري فخرج في رفقة وآه النوشري وأحضره ودعاه للمؤاكلة، فاعتذر بالصوم. ثم امتحنه فلم تشهد له أحواله بشيء مما ذكر له عنه. وقارن ذلك رجوع ابنه أبي القاسم يسأل عن كلب للصيد ضاع له، فلما رآه النوشري وأخبر أنه ولد عبّد الله علم أن هذه الدالة في طلب الصانع منافية للرقبة والخوف، فخلّى سبيله. وجدّ المهدي في السير وكان له كتب من الملاحم ورثها منقولة عن أبيه سرقت من رحله في تلك الطريق. ويقال: إنّ ابنه أبا القاسم لما زحف إلى مصر أخذها من بلاد برقة. ولما انتهى المهدي وابنه إلى طرابلس وفارقه التجار أهل الرفقة، قدم أبا

العباس أخوا أبي عبيد الله الشيعي إلى أخيه بكتامة، ومّر بالقيروان، وقد سبق خبرهم إلى زيادة الله وهو يسأل عنهم، فقبض على أبي العباس وسأله فأنكر فحبسه، وكتب إلى عامل طرابلس بالقبض على المهدي ففاته، وسار إلى قسطنطينة فعدل عنها خشية على أبي العباس أخي الشيعي المعتقل بالقيروان، وذهب إلى سجلماسة وبها أليشع بن مدرار فأكرمه. ثم جاءه كتاب زيادة الله، ويقال كتاب المكتفي بأنه المهدي الذي داعيه في كتامة فحبسه، وبعث زيادة الله العساكر إلى كتامة مع قريبه إبراهيم بن حيش، وكانوا أربعين ألفاً، فانتهى إلى قسطنطينة فأقام بها وهم متحصّنون بخيلهم ستة أشهر. ثم زحف إليهم ودافعهم عند مدينة بلزمة، فانهزم إلى القيروان. وكتب أبو عبد الله بالفتح إلى المهدي وهو في محبسه. ثم زحف إلى مدينة طينة فحاصرها وملكها بالأمان، ثم إلى مدينة بلرمة فملكها عنوة، فبعث زيادة الله العساكر مع هارون الطيني فانتهوا إلى مدينة دار ملوك، وكانوا قد أطاعوا الشيعي فهدمها هارون، وقتل أهلها، وسار إلى الشيعي فانهزم من غير قتال وقتل. وفتح الشيعي مدينة عيسى فزحف زيادة الله في العساكر سنة خمس وتسعين، ونزل الأربس. ثم أشار عليه أصحابه بالرجوع إلى القيروان ليكون رداءً للعساكر، فبعث الجيوش مع إبراهيم بن أبي الأغلب من قرابته ورجع، وزحف أبو عبد الله إلى باغاية فهرب عاملها وملكها. ثم إلى مدينة مرماجنة فافتتحها عنوة وقتل عاملها ثم إلى مدينة تيفاش، فملكها على الأمان، واستأمن إليه القبائل من كل جهة، فأمنهم وسار بنفسه إلى مسلباية، ثم إلى تبسة، ثم إلى مجانة ففتحها على الأمان، ثم سار إلى القصرين من قمودة وأمن أهلها وسار يريد قادة. وبلغ الخبر إلى إبراهيم بن أبي الأغلب وهو بالأريس أميراً على الجيش، فخشي على زيادة الله برفادة لقلعة عسكره، وارتحل ذاهباً إليه، وسار أبو عبد الله إلى قسطنطينة فحاصرها وافتتحها على الأمان. ورجع إلى باغاية فأنزل بها عسكراً. وعاد إلى إيكجان، فسار إبراهيم بن أبي الأغلب إلى باغاية وحاصر أصحاب أبي عبد الله بها. فبعث أبو عبد الله عساكره إلى مج العرعار فألفوا

إبراهيم قد عاد عنها إلى الأربس. ثم زحف أبو عَبدُ الله إلى إبراهيم سنة ست وتسعين في مائة ألف مقاتل. وبعث من عسكره من يأتي إبراهيم من خلفه، وسار إليه فانهزم، وأُتخن فيهم أبو عَبدُ الله بالقتل والأسر، وغنم أموالهم وخيلهم وظهرهم. ودخل الأربس فاستباحها، ثم سار فنزل قمودة، وبلغ الخبر إلى زيادة الله فهرب إلى مصر. وافترق أهل مدينة رقادة إلى القيروان وسوسة، ونهب قصور بني الأغلب ووصل إبراهيم بن أبي الأغلب إلى القيروان، فنزل قصر الإمارة وجمع الناس ووعدهم الحماية، وطلب المساعدة بطاعتهم وأموالهم، فاعتذروا وخرجوا إلى الناس فأخبروهم، فثاروا به وأخرجوه. وبلغ أبا عَبدُ الله الشيعي هرب زيادة الله وهو يشبهه، فدخل إلى رقادة وقدم بين يديه عروبة بن يوسف وحسن بن أبي خنزير فساروا وأمّنوا الناس. وخرج أهل القيروان للقاء أبي عَبدُ الله فأكرمهم وأمّنهم، ودخل رقادة في رجب سنة ست وتسعين، ونزل قصورها، وفرّق دورها على كتامة، ونادى بالأمان. وتراجع الناس فأخرج العمال، وطلب أهل الشر فهربوا، وجمع أموال زيادة الله وسلاحه وأمر بحفظها وبحفظ جواربه، واستأذنه الخطباء لمن يخطبون فلم يعين لهم أحداً. ونقش على السكة من أحد الوجهين بلغت حجة الله، ومن الآخر تفرّق أعداء الله، وعلى السلاح عدة في سبيل الله، ورسم أفضاخ الخيل بالملك لله.

بيعة المهدي بسجلماسة:

ولما ملك أبو عَبدُ الله أفريقية لقيه أخوه أبو العباس منطلقاً من اعتقاله، فاستخلفه عليها وترك معه أبا زكي تمام بن معارك من قواد كتامة. وسار إلى المغرب ففرق القبائل من طريقه، وخافته زناتة فدخلوا في طاعته. ولما قرب من سجلماسة أرسل إلى المهدي بمحبسه يسأله عن حاله فأنكر، ثم سأل ولده كذلك فأنكر، وضرب رجاله فانكروا، ونمي الخبر إلى أبي عَبدُ الله فخشي عليهم، وأرسل إلى أليسع يتلطفه فقتل الرسل فأغذ أبو عبد الله السير وحاصره يوماً، وهرب أليسع من الليل هو وأصحابه وبنو عمه، وخرج أهل البلد إلى أبي عَبدُ الله فجاء إلى مجلس المهدي

فأخرجه هو وابنه أبا القاسم، وأركبهما ومشي مع رؤساء القبائل بين يديهما وهو يقول: هذا مولاكم ويكي من شدة الفرح، ثم أنزله بالمخيم وبعث في أثر أليسع فجيء به فجلد، ثم قتل، وأقام بسجلماسة أربعين يوماً ورجع إلى أفريقية، ووصل إلى رقادة في ربيع من سنة ست وتسعين، ووجد البيعة للمهدي واستولى على ملك بني الأغلب بأفريقية. وملك مدرار سجلماسة، ونزل برقادة، وتلقب بالمهدي أمير المؤمنين. وبعث دعائه في الناس فحملوهم على مذهبه، فأجابوا إلا قليلاً عرض عليهم السيف، وقسم الأموال والجواري في رجال كُثامة، وأقطعهم الأموال والأعمال، ودون الدواوين وجبى الأموال، وبعث العمال على البلاد. فبعث على صقلية الحسن بن أحمد بن أبي خنزير فوصل إلى مازر في عيد الأضحى من سنة تسع وتسعين، فاستقضى بها إسحاق بن المنهال، وأجاز البحر سنة ثمان وتسعين إلى بسط قلورية، فأثخن فيها وعاد وثار به أهل صقلية سنة تسع وتسعين فحبسوه واعتذروا إلى المهدي لسوء سيرته، فعذرهم وولى عليهم علي بن عمر البلوي فوصل إليهم خاتمة السنة المذكورة،

أخبار ابن الليث بفارس:

قد ذكرنا من قبل استيلاء الليث بن علي بن الليث، وسيكري مولى عمر بن الليث على فارس من يد طاهر بن محمد. ثم أخرج سيكري بعد ذلك الليث وانفرد بها، وسار إليه طاهر بن محمد بن عمرو، فواقعه وانهزم طاهر وأسر سيكري وأسر أخاه يعقوب، وبعث بهما إلى المُقْتَدِر مع كاتبه عَبد الرحمن بن جعفر الشيرازي، وقد أمره على ما يحمله وذلك سنة ست وتسعين، ثم سار إليه الليث بن علي من سجستان سنة سبع وتسعين، فغلبه وملك فارس، وهرب سيكري إلى أرجان وأمدّه المُقْتَدِر بمؤنس الخادم في العساكر، فجاء إلى أرجان، وجاء الحسين بن حمدان من قم إلى البيضاء في إعانتة، فصار لملاقاته وأضل الطريق إلى مسالك صعبة أشرف على عسكر مؤنس. وكان سيكري قد بعث أخاه إلى شيراز ليحفظها، فلما أشرف على العسكر ظنه عسكر أخيه، فثاروا إليه واقتلوا وانهزم عسكر الليث وأخذ أسيراً. وأشار عليه

أصحابه أن يقبض على سيكري ويطلب من المُقْتَدِر ولاية فارس مكانه، فوافقهم طاهر وِدَسٌ إليه، فلحق بشيراز، وعاد مؤنس إلى بغداد بالليث أسيراً، والحسين بن حمدان إلى عمله بقم. ثم أن عَبدَ الرحمن بن جعفر كاتب سيكري استولى على أمره، وحسده أصحابه وأكثروا السعاية فيه عند سيكري، فحبسه واستكتب مكانه إسماعيل بن إبراهيم اليمن، فحمله على العصيان، ومنع الحمل وِدَسٌ عَبدَ الرحمن بن جعفر من محبسه إلى الوزير ابن الفرات بذلك، فكتب إلى مؤنس وهو بواسط يأمره بالعود إلى فارس، فسار وأرسله سيكري أنسه وسأل منه الوساطة في أمره وشعر ابن الفرات بميل مؤنس إلى بغداد، وسار محمد بن جعفر فهزم سيكري على شيراز، فخلص إلى قم وتحصن بها، وحاصره محمد بن جعفر. ثم خرج إليه فهزمه ثانية ودخل مغارة خراسان فلقبته عساكر إسماعيل إلى بغداد، فحبس هنالك. واستولى محمد بن جعفر من القواد على فارس وولّى عليها قبيجاً خادم الأفشين، ثم صارت ولايتها لبدر ابن عَبدَ الله الحمامي وفي آخر سنة تسع وتسعين ومائتين قبض حرمه وقامت الهيئة ببغداد ثلاثة أيام، ثم سكنت وذلك لثلاث سنين وثلاثة أشهر من وزارته. فاستوزر مكانه أبا عليّ محمد بن يحيى بن عبيد الله بن يحيى، فرتب الأمور على الدواوين. ثم زاد قرفه لصيق صدره وطيشه وعدوله عن مذاهب الرياسة إلى الوضاعة، ومراجعة أصحاب الحاجات والحقوق إلى ما يريد قضاءه منها، وكثرة التولية والعزل وتبجح أصحابه عليه في إطلاق الأموال وانبساط الجاه بإفساد الأحوال. واعتزم المُقْتَدِر على عزله بأبي الحسين بن أبي الفضل، فاستدعاه من أصبهان. ثم قبض عليه وعلى أبي الحسن ببغداد، وأهمل رأي الوزراء وصار يرجع إلى قول النساء والخدم، فطمع العمال في الأطراف ثم أخرج ابن الفرات من محبسه وجعله في بعض الحجر، وأحسن إليه وصار يعرض عليه مطالعات العمال، وأراد أن يستوزره. ثم بدا له واستدعي عليّ بن عيسى من مكة فاستوزره لأول سنة إحدى وثلاثمائة، وقبض على الخاقاني وحبسه وعين حرسياً عليه. وقام عليّ بن عيسى بالوزارة وأصلح ما أفسده الخاقاني واستقامت الأمور.

قيام أهل صقلية بدعوة المُقْتَدِرِ ثم رجوعهم الى طاعة المهدي:

قد ذكرنا ولاية عليّ بن عمر على صقلية من عَهْدِ الله المهديّ سنة تسع وتسعين. ثم أنّ أهل صقلية انتقضوا عليه وولّوا عليهم أحمد بن موهب. ثم انتقضوا عليه وأرادوا قتله، فدعا إلى طاعة المُقْتَدِرِ، وخطب له بصقلية، وقطع خطبة المهدي، وبعث أسطولاً إلى ناحية ساحل أفريقية، فلقوا أسطول المهدي، وعليه الحسن بن أبي خنزير، فأحرقوه وقتلوا الحسن، ووصلت خلع السواد وألويته لابن موهب من بغداد. ثم جاءت أساطيل المهدي في البحر، وفسد أمر ابن موهب. ثم ثارت أهل صقلية به سنة ثلثمائة، وأسروه وبعثوا به إلى المهدي مع جماعة من أصحابه فأمرهم بقتلهم على قبر ابن أبي خنزير.

ولاية العهد:

وفي سنة إحدى وثلثمائة ولى المُقْتَدِرِ ابنه أبا العباس العهد، وهو الذي ولى الخلافة بعد القاهر وسُمِّيَ بالرافضي، فولاه أبو المُقْتَدِرِ العهد وهو ابن سنين وقلّده مصر والمغرب، واستخف له عليها مؤسساً الخادم، وولى ابنه الآخر عليّاً على الريّ وديباوند وقزوين وأذربيجان وأبهر.

ظهور الأطروش وملكه خراسان:

كان هذا الأطروش من ولد عمر بن علي بن الحسين وهو الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن عمر، وكان قد دخل إلى الديلم بعد قتل محمد بن زيد، ولبت فيهم ثلاث عشرة سنة يدعوهم إلى الإسلام، وبأخذ منهم العُشْر، ويدافع عنهم ملكهم ابن حَسَّان، فأسلم على يديه منهم خلق كثير، وبنى لهم المساجد، وزحف بهم إلى ثغور المسلمين، أراهم مثل قزوين وسالوس فأطاعوه، وهدم حصن سالوس. ثم

دعاهم إلى غزو طبرستان وهي في طاعة ابن سامان، وكان إسماعيل بن أحمد لما انتقض بها محمد بن هارون، وقبض عليه إسماعيل وولى عليها أبا العباس عبّد الله بن محمد بن نوح، فأحسن السيرة وأظهر العدل، وبالع في الإحسان إلى العلوية الذين بها، واستمال الديلم بالمهاداة والإحسان، فاشتمل الناس عليه. فلما دعاهم الحسن إلى غزو طبرستان، لم يجيبوه من أجل ابن نوح. ثم أن أحمد بن إسماعيل عزل ابن نوح عنها، وولى عليها سلاماً فأساء السيرة ولم يحسن سياسة الديلم، فهاجوا عليه فقاتلهم وهزمهم، واستعفى من ولايتها. فعاد إليها ابن نوح وصلحت الحال كما كانت إلى أن مات، فولى عليها محمد بن إبراهيم بن صلوك، فأساء السيرة وتكر للديلم فصادف الحسن منها الغرة ودعاهم إلى غزو طبرستان فأجابوه، وسار إليه ابن صلوك على من يرّجيه من سالوس بشاطئ البحر، فانهزم وقتل من أصحابه أربعة آلاف، ولجأ الباقون إلى سالوس، فحاصروهم الأطروش حتى استأنوا، ورجع عنهم إلى آمد. ثم جاء الحسن بن القاسم العلوي الداعي صهر الأطروش إلى أولئك المستأمنين فقتلهم، واستولى الأطروش على طبرستان، ولحق ابن صلوك بالري سنة إحدى وثلاثمائة، وسار منها إلى بغداد. وكان الأطروش زبدي المذهب، وجميع الذين أسلموا على يده فيما وراء أسعيد "ولى" إلى آمد كلهم على مذهب الشيعة. ثم إن الأطروش العلوي تنجّى عن آمد إلى سالوس بعد أن غلب عليها، فبعث إليه صلوك الرى من قبل ابن سامان جيشاً فهزمهم وعاد إلى آمد. ثم زحفت إليه عساكر السعيد صاحب خراسان سنة أربع وثلاثمائة فقتلوه. وكان هذا الأطروش عادلاً حسن السيرة لم ير مثله في أيامه وأصابه الصمم من ضربة في رأسه بالسيف في الحرب. وقال ابن مسكويه في كتاب تجارب الامم، ويقال فيه الحسن بن عليّ الداعي وليس به، وإنما الداعي الحسن بن القاسم صهره، وسنذكره فيما بعد. وكان له من الولد أبو الحسن، وكان قواده من الديلم جماعة منهم ابن النعمان وكانت له ولاية جرجان، وما كان بن كالي، وكان على استراباذ ومعزّا. ثم كان من قواد ولده من الديلم جماعة آخرون منهم أسفار بن شيرويه من أصحاب ما كان ابن كالي ومرداويج بن

زياد من أصحاب أسفار، واسكري من أصحابه أيضاً، وبنو بويه من أصحاب مرداويج، وسيأتي الخبر عن جميعهم إن شاء الله تعالى.

غلب المهدي علي الاسكندرية ومسير مؤنس إلي مصر:

وفي سنة إثنين وثلاثمائة بعث عبد الله المهدي عساكره من أفريقية إلى الإسكندرية مع قائده خفاشة الكتابي، فغلب عليها وسار إلى مصر، وبلغ المُقْتَدِر فبعث مؤنسا الخادم في العساكر لمحاربتة، وأمدّه بالأموال والسلاح. وسار إليهم وقتلهم فهزّمهم بعد وقائع متعددة، قتل فيها من الفريقين، وبلغ القتل والأسر من المغاربة سبعة آلاف ورجعوا إلى المغرب.

انتقاض الحسين علي ابن حمدان بديار ربيعة وأسرّه:

كان الحسين بن حمدان والياً على ديار ربيعة، وطالبه الوزير عليّ بن عيسى بالمال، فدافعه وأمره بتسليم البلاد إلى عمال السلطان، فامتنع وكان مؤنس الخادم بمصر في محاربة عساكر المهدي صاحب أفريقية، فجّهز الوزير إلى ابن حمدان، رائقاً الكبير في عسكر سنة ثلاث وثلاثمائة، وكتب إلى مؤنس أن يسير إلى الجزيرة لقتاله بعد فراغه من أصحاب العلوي بمصر فسار رائق أولاً وهزمه الحسين، ولحق بمؤنس فأمره بالمقام بالموصل. وسار نحو الحسين وتبعه أحمد بن كيغليغ، وانتهى إلى جزيرة ابن عمر والحسين بأرمينية. ورجع الكثير من عسكره إلى مؤنس. ثم بعث مؤنس عسكراً في أثره عليهم بُتِّقَ ومعه سيما الجزري. وجاء الصفواني واتبعوه فادركوه، وقتلوه فهزّموه، وجاؤا به أسيراً ومعه ابنه عبّد الوهاب وأهله وكثير من أصحابه. وعاد مؤنس إلى بغداد على الموصل، فحبسه المُقْتَدِر، وأغار عليّ أبي الهيجاء بن حمدان وجميع إخوته وحبسهم. ثم أطلق أبا الهيجاء سنة خمس وقتل الحسين سنة ست تقريباً كما نذكر إن شاء الله تعالى.

وزارة ابن الفرات الثانية:

كان الوزير أبو الحسن بن الفرات محبوباً كما ذكرنا، وكان المُقْتَدِر يشاوره ويرجع إلى رأيه، ويبغي بعض أصحاب المُقْتَدِر إعادته. وبلغ ذلك الوزير علي بن عيسى فاستعفى ومنعه المُقْتَدِر. ثم جاءت في بعض الأيام قهرمانه القصر تناظره في نفقات

الحرم والحاشية وكسوتهم، فألفته نائماً فلم يوقظه لها أحده. فرجعت وشكت إلى المُقْتَدِر وأمه، فقبض عليه في ذي القعدة من سنة أربع وثلثمائة، وأعاد ابن الفرات على أن يحمل إلى بيت المال ألف دينار وخمسمائة دينار في كل يوم. وقبض على الوزير من قبله علي بن عيسى والخاقاني وأصحابهما، وصادرهم أبو علي بن مقله وكان مختفياً منذ قبض على ابن الفرات فقدمه الآن واستخلصه.

خير ابن أبي السَّاج بأذربيجان:

قد ذكرنا استقرار يوسف بن أبي السَّاج على أرمينية وأذربيجان منذ مهلك أخيه محمد سنة ثمان وثمانين ومائتين، وكان على الحرب والصلاة والأحكام، وكان عليه مال يؤديه. فلما ولي الخاقاني وعلي بن عيسى الوزارة، والتأمت أمور يوسف في الاستبداد، وأخر بعض المال، واجتمع له ما يريده لذلك، وبلغته نكبة الوزير علي بن عيسى، فأظهر أن العهد وصل إليه بولاية الريّ على يد علي بن عيسى. وكان حميد بن صلوك من قواد بن سامان قد بعث على الري وما يليها، وقاطع عليها بمال يحمله فسار إليه يوسف سنة أربع وثلثمائة، فهرب إلى خراسان واستولى يوسف على الري وقزوين وزنجان، وكتب إلى الوزير ابن الفرات بالفتح ويعتذر بأنه طرد المتغلبين، ويذكر كثرة ما أنفق من ذلك وأنه كان بأمر الوزير علي بن عيسى وعهده إليه بذلك، فاستعظم المُقْتَدِر ذلك وسئل علي بن عيسى فأنكر، وقال سلوا الكُتَّاب والحاشية والعهد واللواء للذين كان يسير بهما مع بعض القواد والخدام. فكتب ابن الفرات بالنكير على يوسف، وجهاز العساكر لحربه مع خاقان المفلحي، ومعه أحمد بن مسرور البلخي، وسيما الجزري، ونحير الصغير، وساروا سنة خمس وثلثمائة، فهزمهم يوسف وأسر منهم جماعة. فبعث المُقْتَدِر مؤسساً الخادم في جيش كثيف لمحاربه. وعزل خاقان المفلحي عن أعمال الجبل، وولَّاه نحيراً الصغير. وسار مؤنس واستأمن له أحمد بن علي أخو صلوك فأمنه وأكرمه، وبعث ابن أبي السَّاج في المقاطعة على أعمال الري بسبعمائة ألف دينار سوى أرزاق الجند والخدم، فأبى له المُقْتَدِر من ذلك عقوبة على ما أقدم عليه، وولَّى على ذلك العمل وصيفاً البكتمري، وطلب ابن أبي السَّاج أن يقاطعه على ما كان بيده قبل الريّ من أذربيجان وأرمينية، فأبى المُقْتَدِر إلا أن يحضر في خدمته. فلما بئس

ابن أبي السَّاج زحف إلى مؤنس وقاتله، فانهزم مؤنس إلى رَنْجَان وقتل من قواده جماعة، وأسر هلال بن بدر وغيره فحبسهم يوسف في أربيل، وأقام مؤنس بزنجان بجميع العساكر، يستمدُّ من الْمُقْتَدِر وابن أبي السَّاج يرأسله في الصلح، والمقتدر لا يجيب إلى ذلك. ثم قاتله مؤنس في فاتح سنة سبع وثلاثمائة عند أربيل، فهزمه وأسرته وعاد به إلى بغداد أسيراً، فحبسه الْمُقْتَدِر وولَّى مؤنس على الريِّ ودينوند وقزوين وأبهر وزنجان علي بن وهشودان، وجعل أموالها لرجاله، وولَّى مؤنس على أصبهان وقم وقاشان أحمد بن علي بن صلوك، وسار عن أذربيجان فوثب سبك مولى يوسف بن أبي السَّاج فملكها واجتمع عليه عسكر فولى مؤنس بن صمد بن عبيد الفارقي، وسار بمحاربة سبك، فانهزم وعاد إلى بغداد. وتمكن سبك في أذربيجان، وسأل المقاطعة على مائتي ألف وعشرين ألف دينار في كل سنة، فأجيب وعقد له عليها، وكان مقيماً بقزوين، فقتله على مراسمة ولحق ببلده، فولى الْمُقْتَدِر وصيفاً البكتمري مكانه على أعمال الريِّ، وولى محمد بن سليمان صاحب الجيش على الخوارج بها، ثم وثب أحمد بن علي بن صلوك صاحب أصبهان وقم على الريِّ، فملكها وكتب إليه الْمُقْتَدِر بالنكير، وأن يعود إلى قم، فعاد ثم أظهر الخلاف وأجمع المسير إلى الريِّ، وسار وصيف البكتمري لحربه. وأمر تحرير الصغير أن يسير ممدداً لبكتمري، فسبقهم أحمد بن صلوك إلى الريِّ. وملكها، وقتل محمد بن سليمان صاحب الخوارج، وبعث إلى نصر الحاجب ليصلح أمره بالمقاطعة على أعمال الريِّ بمائة وستين ألف دينار، وينزل عن قم فكتب له بذلك وولَّى غيره على قم.

خبر سجستان وكرمان:

كانت سجستان قد صارت لابن سامان منذ سنة ثمان وتسعين ومائتين، ثم تغلب عليها كثير بن أحمد بن صفود من يده، فكتب الْمُقْتَدِر إلى عامل فارس وهو بدر بن عَبدُ الله الحمامي أن يرسل العساكر لمحاربتة، ويؤمر عليهم دركاً، ويجعل على الخراج بها زيد بن إبراهيم. فسارت العساكر وحاربوا أهل سجستان فهزموهم وأسروا زيد بن إبراهيم، وكتب كثير إلى الْمُقْتَدِر بالبراءة من ذلك، وطوية أهل سجستان. وأرسل الْمُقْتَدِر أن يسير لقتاله بنفسه، فخاف كثير وطلب المقاطعة على خمسمائة ألف دينار في كل سنة فأجيب وقررت البلاد عليه. وذلك سنة أربع وثلاثمائة. وانتقض في هذه السنة بكرمان صاحب الخوارج بها أبو زيد خالد بن محمد

المارداني، وسار منها إلى شيراز يروم التغلب على فارس، فسار إليه بدر الحمامي العامل، وحرابه فقتله وحمل رأسه إلى بغداد.

وزارة حامد بن العباس:

وفي سنة ست وثلثمائة قبض المُقْتَدِر على وزيره أبي الحسن بن الفرات، بسبب شكوى الجند بمطله أرزاقهم، واعتذر بضيق الأموال للنفقة في حروب ابن أبي السّاج، ونقص الارتياح بخروج الرّي عن ملكه. فشعب الجند وركبوا، وطلب ابن الفرات من الخليفة إطلاق مائتي ألف دينار من خاصته يستعين بها، فنكر ذلك عليه لأنه كان ضمن القيام بأرزاق الأحشاد، وجميع النفقات المرتبة، فاحتج بنقص الارتياح وبالنفقة في الحرب كما تقدم، فلم يقبل. ويقال: سعى فيه عند المُقْتَدِر بأنه يروم إرسال الحسين بن حمدان إلى أبي السّاج فيحاربه، وإذا سار عنده اتفاقاً على المُقْتَدِر، فقتل المُقْتَدِر ابن حمدان، وقبض على ابن الفرات في جمادى الآخرة، وكان حامد بن العباس على الأعمال بواسطة، وكان منافراً لابن الفرات، وسعى به عنده بزيادة ارتياحه على ضمانه، فخشيته حامد على نفسه. وكتب إلى نصر الحاجب والي والده المُقْتَدِر سعة نفسه وكثرة اتباعه، وذلك عند استيحاظه من ابن الفرات. فاستقدمه من واسط، وقبض على ابن الفرات وابنه المحسن واتباعهما، واستوزر حامدا فلم يوف حقوق الوزارة ولا سياستها، وتحاشى عليه الدواوين، فأطلق المُقْتَدِر علي بن عيسى وأقامه على الدواوين كالنائب عن حامد. فكان يزاحمه واستبد بالأمور دونه، ولم يبق لحامد أمر عليه. فأجابه ابن الفرات بأسفه منه. وقال لشفيح اللؤلؤي: قل لأمير المؤمنين حامد، إنما حمله على طلب الوزارة أني طالبته بأكثر من ألفي ألف دينار من فضل ضمانه، فاستشيط حامد وزاد في السفه، فأنفذ المُقْتَدِر من رد ابن الفرات إلى محبسه، ثم صودر وضرب ابنه المحسن وأصحابه وأخذت منهم الأموال. ثم أن حامداً لمّا رأى استطالة علي بن عيسى عليه، وكثرة تصرفه في الوزارة دونه، ضمن للمقتدر أعمال الخوارج والضياع الخاصة والمستحدثة والقرارية، بسواد بغداد والكوفة وواسط والبصرة والأهواز وأصبهان، واستأذنه في الانحدار إلى واسط لاستخراج ذلك، فانحدر واسم الوزارة له، وأقام علي بن عيسى يدبر الأمور، فأظهر حامد سوء تصرف في الأموال، وبسط المُقْتَدِر يده حتى خافه علي بن عيسى. ثم

تحرك السعر ببغداد فشغبت العامة ونهبوا الغلال، لأن حامداً وغيره من القواد كان يخزنون الغلال. وأحضر حامد لمنعهم فحضر فقاتلوه، وفتقوا السجون، ونهبوا دار الشرطة. وأنفذ المُقْتَدِرُ غريب الحال في العسكر، فسكن الفتنة وعاقب المتصدين للشر، وأمر بفتح المخازن التي للحنطة وبيعها، فرخص السعر وسكن إلى منع الناس من بيع الغلال في البيادر وخزنها، فرفع الضمان عن حامد، وصرف عقاله عن السواد، وردّ ذلك لعلي بن عيسى وسكن الناس.

وصول ابن المهدي وهو أبو القاسم إلي ابنه:

وفي سنة سبع وثلاثمائة بعث المهدي صاحب أفريقية أبا القاسم في العساكر إلى مضَرَ، فوصل إلى الاسكندرية في ربيع الآخر وملكها، ثم سار إلى مضَرَ ونزل بالجيزة واستولى على الصعيد، وكتب إلى أهل مكة في طاعته فلم يجيبوا. وبعث المُقْتَدِرُ مؤنساً الخادم إلى مصر لمدافعته، فكانت بينهم حروب كثر فيها القتلى من الجانبين، وكان الظهور لمؤنس ولقب يومئذ بالمُظَفَّر. ووصل من أفريقية أسطولاً من ثمانين مركباً مدداً للقائهم، وعليهم سليمان الخادم ويعقوب الكُتَامِيّ، وأمر المُقْتَدِرُ بأن يسير إليهم أسطول طرسوس فسار في خمسة وعشرين مركباً وعليهم أبو اليمن، ومعهم العُدَّة والأنفاط، فغلبوا أسطول أفريقية وأحرقوا أكثر مراكبه. وأسر سليمان الخادم ويعقوب الكتامي في جماعة قتل أكثرهم، وحبس سليمان بمصر، وحمل يعقوب إلى بغداد. ثم هرب وعاد إلى أفريقية، وانقطع المدد عن عسكر المغاربة، فوقع الغلاء عندهم، وكثر الموتان في الناس والخيل، فارتحلوا راجعين إلى بلادهم وسار عساكر مصر في أثرهم حتى ابعدوا.

بقية خبر ابن أبي السّاج:

قد تقدم لنا أنّ مؤنساً حارب يوسف بن أبي السّاج عامل أذربيجان، فأسره وحمله إلى بغداد فحبس بها، واستقر بعده في عمله سبك مولاه. ثم أن مؤنساً شفع فيه سنة عشر، فأطلقه المُقْتَدِرُ وخلع عليه. ثم عقد له على أذربيجان وعلى الري وقزوین وأبهرورزجان وعلى خمسمائة ألف دينار في كل سنة سوى أرزاق العساكر. وسار يوسف إلى أذربيجان ومعه وصيف اليكتمري في العساكر، ومر بالموصل فنظر في

أعمالها وأعمال ديار ربيعة. وقد كان المُقْتَدِرُ تقدم إليه بذلك. ثم سار إلى أذربيجان وقد مات مولاه سبك، فاستولى عليها. وسار سنة إحدى عشرة إلى الريّ، وكان عليها أحمد بن عليّ أخو صلوك، وقد اقتطعها كما قدّمنا. ثم انتقض على المُقْتَدِرِ، وهادن ما كان بن كالي من قوّاد الديلم القائم بدعوة أولاد الأطروش في طبرستان وجرجان. فلما جاء يوسف إلى الريّ حاربه أحمد، فقتله يوسف وأنفذ رأسه إلى بغداد، واستولى على الريّ في ذي الحجة وأقام بها مدة، ثم سار عنها إلى همذان فاتح ثلاث عشرة، واستخلف بها مولاه مفلحاً وأخرج أهل الريّ عنهم، فعاد يوسف إليهم في جمادى من سنته، واستولى عليها ثانية. ثم قلده المُقْتَدِرُ سنة أربع عشرة نواحي المشرق، وأذن له في صرف أموالها في قواده وأجناده، وأمره بالمسير إلى واسط، ثم منها إلى هجر لمحاربة أبي طاهر القرمطي، فسار يوسف إلى أبي طاهر وكان بها مؤنس المُطَقَّر، فرجع إلى بغداد وجعل له أموال الخراج بنواحي همذان وساوة وقمّ وقاشان وماه البصرة وماه الكوفة وما سبَدان لينفقها في عسكره، ويستعين بها على حرب القرامطة. ولما سار من الريّ كتب المُقْتَدِرُ إلى السعيد نصر بن سامان بولاية الريّ، وأمره بالمسير إليها وأخذها من فائق مولى يوسف، فسار إليها فاتح أربع عشرة، فلما انتهى إلى جبل قارن منعه أبو نصر الطبري من العبور، وبذل له ثلاثين ألف دينار، فترك سبيله وسار إلى الريّ فملكها من يد فائق، وأقام بها شهرين، وولى عليها سيمجور الدواني وعاد إلى بخارى. ثم استعمل على الريّ محمد بن أبي صلوك، فأقام بها إلى شعبان سنة ست عشرة وأصابه مرض، وكاتب الحسن بن القاسم الداعي وما كان بن كالي أمير الديلم في تسليم الريّ إليهما، فقدموا وسار عنها ومات في طريقه، واستولى الداعي والدَيْلَمُ عليها.

بقية الخبر عن وزراء المُقْتَدِرِ:

قد تقدّم الكلام في وزارة حامد بن العباس، وأنّ عليّ بن عيسى كان مستبداً عليه في وزارته، وكان كثيراً ما يطرح جانبه ويسيء في توقعاته على عماله. وإذا اشتكى إليه أحد من نوابه يوقّع على القصة: إنما عقد الضمان على الحقوق الواجبة فليكفّ

الظالم عن الرعية. فأنف حامد من ذلك، واستأذن في المسير إلى واسط للنظر في ضمانة، فأذن له. ثم كثرت إستغاثة الخدم والحاشية من تأخر أرزاقهم وفسادها، فإن علي بن عيسى كان يؤخرها، وإذا اجتمعت عدة شهور أسقطوا بعضها، وكثرت السعاية واستغاث العمال وجميع أصحاب الأرزاق بأنه حطّ من أرزاقهم شهرين من كل سنة، فكثرت الفتنة على حامد، وكان الحسن ابن الوزير ابن الفرات متعلقاً بمُفْلِح الأسود خالصة الخليفة المُقْتَدِر وكان شقيقه لأبيه، وجرى بينه وبين حامد يوماً كلام، فأساء عليه حامد وحقد له. وكتب ابن الفرات إلى المُقْتَدِر وضمن له أموالاً فأطلقه واستوزره، وقبض على علي بن عيسى وحبسه في مكانه، وذلك سنة إحدى عشرة، وجاء حامد من واسط فبعث ابن الفرات من يقبض عليه، فهرب من طريقه واختفى ببغداد. ثم مضى إلى نصر بن الحاجب سرّاً وسأل إيصاله إلى المُقْتَدِر، وأن يحبسه بدار الخلافة، ولا يُمَكَّن ابن الفرات منه. فاستدعى نصر الحاجب مفلحاً الخادم حتى وقفه على أمره وشفع له في رفع المؤاخذة بما كان منه، فمضى إلى المُقْتَدِر وفاوضه بما أحب، وأمر المُقْتَدِر بإسلامه لابن الفرات، فحبسه مدة ثم أحضره وأحضر له القضاة والعمال، وناظره فيما وصل إليه من الجهات فأقر بنحو ألف ألف دينار. وضمنه المحسن بن الفرات بخمسمائة ألف دينار فسلم إليه وعذبه أنواعاً من العذاب، وبعثه إلى واسط لبيع أمواله هناك، فهلك في طريقه بإسهال أصابه. ثم صودر علي بن عيسى على ثلثمائة ألف دينار، وعذبه المحسن بعد ذلك عليها فلم يستخرج منه شيئاً، وسيره ابن الفرات أيام عطلته وحبسه بعد أن كان رباه وأحسن إليه، فقبض عليه مدة ثم أطلقه، وقبض على ابن الجوزي وسلمه إلى ابنه المحسن، فعذبه ثم بعثه إلى الأهواز لاستخراج الأموال، فضربه الموكل به حتى مات. وقبض أيضاً على الحسين بن أحمد، وكان تولى مصر والشام وعلى محمد بن علي المارداني وصادرها على ألف ألف وسبعمائة ألف دينار، وصادر جماعة من الكتّاب سواهم ونكبهم. وجاء مؤنس من غزاته فانهى إليه أفعال ابن الفرات، وما يعتمده من المصادرات والنكيات وتعذيب ابنه للناس، فخافه ابن الفرات وخوف المُقْتَدِر منه. وأشار بسيره إلى الشام ليقوم هناك بالثغر، فبعثه

المُقْتَدِرَ وأبعده. ثم سعى ابن الفرات بنصر الحاجب وأغراه به وأطمعه في ماله وكان أكثرًا. واستجار نصر بأم المُقْتَدِر. ثم كثرت الأراجاف بابن الفرات، فخاف وانتهى إلى المُقْتَدِر بأن الناس عادوه لنصحه للسلطان واستيفاء حقوقه، وركب هو وابنه المحسن إلى المُقْتَدِر فأوصلهما إليه وأسهمهما، وخرجا من عنده فمئنهما نصر الحاجب، ودخل مفلح على المُقْتَدِر وأشار إليه بعزله، فأسّر إليه وفاقه على ذلك، وأمر بتخلية سيبلهما. واختفى المحسن من يومه. وجاء نازوك ولبق من الغد في جماعة من الجند إلى دار ابن الفرات فأخرجوه حافياً حاسراً. وحمل إلى مؤنس المُطَفَّر ومعه هلال بن بدر، ثم سُلم إلى شفيح اللؤلؤي فحبس عنده وصودر على ألف ألف دينار، وذلك سنة إثنتي عشرة. وكان عَبدُ الله أبو القاسم بن علي بن محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان لَمَّا تَغَيَّر حال ابن الفرات سعى في الوزارة، وضمن في ابن الفرات وأصحابه ألفي ألف دينار على يد مؤنس الخادم وهارون بن غريب الحال ونصر الحاجب، فاستوزره المُقْتَدِر على كراهية فيه، ومات أبوه علي وزارته. وشفع إليه مؤنس الخادم في إعادة علي بن عيسى من صنعاء، فكتب له في العود وبمشاركة أعمال مصر والشام، وأقام المحسن بن الفرات مختفياً مدة. ثم جاءت امرأة إلى دار المُقْتَدِر تنادي بالنصيحة، فأحضرها نصر الحاجب فدلت على المحسن، فأحضره نازوك صاحب الشرطة، فسلم للوزير وعذب بأنواع العذاب، فلم يستخرج منه شيء فأمر المُقْتَدِر بحمله إلى أبيه بدار الخلافة، وجاء الوزير أبو القاسم الخاقاني إلى مؤنس وهارون، ونصر فحذرهم بشأن ابن الفرات وعائلته بدار الخلافة، وأغراهم به، فوضعوا القواد والجند وقالوا لا بد من قتل ابن الفرات ولده. ووافق هؤلاء على ذلك، فأمر نازوك بقتلها فذبهما. وجاء هارون إلى الوزير الخاقاني يهنئه بذلك فأغمي عليه، ثم أفاق وأخذ منه ألفي دينار، وشفع مؤنى المظفر في ابنه عَبدُ الله وأبي نصر فأطلقهما ووصلهما بعشرين ألف دينار. ثم عزل الخاقاني سنة ثلاث عشرة لأنه أصابه المرض وطال به، وشغب الجند في طلب أرزاقهم فوقفت به الأحوال، وعزله المُقْتَدِر وولى مكانه أبا العباس الخصي وكان كاتباً لأمه فقام بالأمر، وأقر علي بن عيسى على أعمال مصر والشام، فكان يتردد إليهما من مكة ثم أن الخصي اضطربت أموره وضاعت الجباية، وكان مدمناً للسكر مهملاً للأمر، ووكل من يقوم عنه فأثروا مصالحهم

وأضاعوا مصلحته. وأشار مؤنس المظفر بعزله وولاية ابن عيسى، فعزل لسنة وشهرين. واستقدم عليّ بن عيسى من دمشق، وأبو القاسم عبّد الله بن محمد الكلواذي بالنيابة عنه إلى أن يحضر، فحضر أوّل سنة خمس عشرة واستقل بأمر الوزارة، وطلب كفالات المصادرين والعمّال، وما ضمن من الأموال بالسواد والأهواز وفارس والمغرب، فاستحضرها شيئاً بعد شيء، وأدر الأرزاق وبسط العطاء وأسقط أرزاق المغنين والمسامرة والندمان والصفاعة. وأسقط من الجند أصغر الأولاد ومن ليس له سلاح والهرمي والزمني، وياشر الأمور بنفسه، واستعمل الكفاة. وطلب أبا العباس الخصي في المناظرة، وأحضر له الفقهاء والقضاة والكتاب، وسأله عن أموال الخوارج والنواحي والمصادرات وكفالاتها، وما حصل من ذلك وما الواصل والبواقي، فقال لا أعلم. فسأله عن المال الذي سلمه لابن أبي السّاج كيف سلمه بلا مصرف ولا منفق، وكيف سلم إليه أعمال المشرق، وكيف بعثه لبلاد الصحراء بهجر هو وأصحابه من أهل الغلول والخصب، فقال ظننت منهم القدرة على ذلك. وامتنع ابن أبي السّاج من المنفق فقال: وكيف استجزت ضرب حرم المصادرين؟ فسكت، ثم سئل عن الخراج فخلط فقال أنت غررت أمير المؤمنين من نفسك، فهلا استعذرت بعدم المعرفة. ثم أعيد إلى محبسه واستمر علي بن عيسى في ولايته. ثم اضطربت عليه الأحوال واختلفت الأعمال، ونقص الارتياح نقصاً فاحشاً، وزادت النفقات، وزاد المُقْتَدِر تلك الأيام في نفقات الخدم والحرم ما لا يحصى، وعاد الجند من الأنبار فزادهم في أرزاقهم مائتين وأربعين ألف دينار. فلما رأى ذلك علي بن عيسى ويئس من انقطاعه أو توقفه، وخشي من نصر الحاجب، فقد كان انحرف عنه لميل مؤنس إليه وما بينهما من المنافرة في الدولة، فاستعفى من الوزارة وألح في ذلك وسكنه مؤنس فقال له أنت سائر إلى الرقة، وأخشى على نفسي بعدك. ثم فاوض المُقْتَدِر نصرراً الحاجب بعد مسير مؤنس فأشار بوزارة أبي علي بن مقله، فاستوزره المُقْتَدِر سنة ست عشرة وقبض على علي بن عيسى وأخيه عبّد الرحمن، وأقام ابن مقله بالوزارة وأعانه فيها أبو عبّد الله البريدي لمودة كانت بينهما، واستمرت حاله على ذلك. ثم عزله المُقْتَدِر ونكبه بعد سنتين وأربعة أشهر حين استوحش من مؤنس كما ذكره، وكان ابن مقله متهماً بالميل إليه، فاتفق مغيبه في بعض الوجوه فقبض عليه المُقْتَدِر. فلما جاء مؤنس سأل في إعادته فلم يجبه المُقْتَدِر

أراد قتله فمنعه، واستوزر المُقْتَدِر سليمان بن الحسن، وأمر عليّ بن عيسى بمشاركته في الاطلاع على الدواوين، وصودر ابن مقلّة على مائتي ألف دينار، وأقام سليمان في وزارته سنة وشهرين، وعليّ بن عيسى يشاركه في الدواوين، وضاعت عليه الأحوال إضاعة شديدة، وكثرت المطالبات ووقفت وظائف السلطان. ثم أفرد السواد بالولاية، فانقطعت مواد الوزير لأنه كان يقيم من قبله من يشتري توقعات الأرزاق ممن لا يقدر على السعي في تحصيلها من العمال والفقهاء وأرباب البيوت، فيشتريها بنصف المبلغ فيتعرض بعض من كان ينتمي لمفلح الخادم لتحصيل ذلك للخليفة، وتوسط له مفلح فدافع لذلك وجاهر في تحصيله من العمال، فاختلت الأحوال بذلك وفضح الديوان ودفعت الأحوال لقطع منافع الوزراء والعمال التي كانوا يرتفقون بها، وإهمالهم أمور الناس بسبب ذلك. وعاد الخلل على الدولة وتحرك المرشحون للوزارة في السعاية وضمن القيام بالوظائف وأرزاق الجند. وأشار مؤنس بوزارة أبي القاسم الكلواذي، فاستوزره المُقْتَدِر في رجب من سنة تسع عشرة وأقام في وزارته شهرين. وكان ببغداد رجل من المخرفين يسمى الدانيالي، وكان وراقاً ذكياً محتالاً يكتب الخطوط في الورق ويداوبها حتى تتم باليل. وقد أودعها ذكر من يراه من أهل الدولة برموز وإشارات، ويقسم له فيها من حظوظ الملك والجاه والتمكين قسمة من عالم الغيب، يوهم أنها من الحدّثان القديم المأثور عن دانيال وغيره، وأنها من الملاحم المتوارثة عن آباءه، ففعل مثل ذلك بمفلح. وكتب له في الأوراق م م م بأن يكون له كذا وكذا، وسأله مفلح عن الميم فقال هو كناية عنك لأنك مفلح مولى المُقْتَدِر. وناسب بينه وبين علامات مذكورة في تلك الأوراق حتى طبقها عليه، فشغف به مؤنس وأغناه. وكان يداخل الحسين بن القاسم بن عبّد الله بن وهب، فرمز اسمه في كتاب وذكر بعض علاماته المنطبقة عليه، وذكر أنه يستوزره الخليفة الثامن عشر من بني العباس، وتستقيم الأمور على يديه، ويقهر الأعادي وتعمّر الدنيا في أيامه. وخلط ذلك في الكتاب بحدّثان كثير وقع بعضه ولم يقع الآخر. وقرأ الكتاب على مفلح فأعجبه، وجاء بالكتاب إلى المُقْتَدِر فأعجب به الآخر، وقال لمفلح من تعلم بهذه القصة؟ فقال لا أراه إلا الحسين بن القاسم. قال: صدقت وإنني لأميل إليه، وقد كان المُقْتَدِر أراد ولايته قبل ابن مقلّة وقيل الكلواذي، فامتنع مؤنس. ثم قال المُقْتَدِر لمفلح أن جاءتك رقعة منه بالسعي في

الوزارة فأعرضها علي. ثم سأل مفلح الدانيالي من أين لك الكتاب؟ قال: وراثة من آبائي وهو من ملاحم دانيال. فأنهى ذلك إلى المُقْتَدِر، واعتبطوا بالحسين وبلغ الخبر إليه، فكتب إلى مفلح بالسعي في الوزارة، فعرض كتابه على المُقْتَدِر فأمره بإصلاح مؤنس. واتفق أن الكلوادي عمل حساباً بما يحتاج إليه من النفقات الزائدة على الحاصل، فكانت سبعمائة ألف دينار، وكتب عليه أهل الديوان خطوطهم، وقال: ليس لهذه جهة إلا ما يطلقه أمير المؤمنين. فعظم ذلك على المُقْتَدِر، وأمر الحسين بن القاسم أن يضمن جميع النفقات وزيادة ألف ألف دينار لبيت المال. وعرض كتابه على الكلوادي فاستقال، وأذن للكلوادي لشهرين من وزارته، وولّى الحسين بن القاسم، واشترط أن لا يشاركه على بن عيسى في شيء من أموره، وإخراجه الصافية. واختص به الحسين بن البيهقي وابن الفرات. ولما ولي وإطلع على نقصان الارتياح وكثرة الإنفاق، وضاق عليه الأمر فتعجل الجباية المستقبلة، وصرفها في الماضية. وبلغ ذلك هارون بن غريب الحال فأنهاه إلى المُقْتَدِر، فرتب معه الخصي وإطلع على حسابه، فألقى له حسبة ليس فيها رمزه. فأظهر ذلك المُقْتَدِر وجميع الكتاب، وأطلعوا عليها وقابلوا الوزير بتصديق الخصي فيما قاله، وقبض على الحسين بن القاسم في شهر ربيع من سنة عشرين لسبعة أشهر من ولايته. واستوزر أبا الفتح الفضل بن جعفر وسلم إليه الحسين فلم يؤاخذه بإساءته ولم يزل على وزارته.

القرامطة

أخبار القرامطة في البصرة والكوفة :

كان القرامطة قد استبد طائفة منهم بالبحرين، وعليهم أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي، ورث ذلك عن أبيه واقتنعوا ذلك العمل بأسره عن الدولة، كما يذكر في أخبار دولتهم عند أفرادها بالذكر. فقد أبو طاهر البصرة سنة إحدى عشرة ومائتين، وبها سبط مفلح، لكبسها ليلاً في ألفين وسبعمائة، وتسبّموا الأسوار بالحبال، وركب سُبُك فقتلوه ووضعوا السيف في الناس، فافحشوا في القتل، وغرق كثير في الماء، وأقام أبو طاهر بها سبعة عشر يوماً، وحمل ما قدر عليه من الأموال والأمتعة والنساء والصبيان وعاد إلى هجر. وولى المُقْتَدِر على البصرة محمد بن عبد الله الفارقي فانحدر إليها بعد انصرافهم عنها. ثم سار أبو طاهر القرمطي سنة إثنين عشرة

معتزلاً للحاج في رجوعهم من مكة، فاعترض أوائلهم ونهبهم، وجاء الخبر إلى الحاج وهم بعيد، وقد فنيت أزوادهم وكان معهم أبو الهيجاء بن حمدان صاحب طريق الكوفة. ثم أغار عليهم أبو طاهر فأوقع بهم، وأسر أبا الهيجاء أحمد بن بدر من أخوال المُقْتَدِر، ونهب الأمتعة، وسبى النساء والصبيان، ورجع إلى هجر. وبقي الحجاج ضاحين في القفر إلى أن هلكوا، ورجع كثير من الحرم إلى بغداد، وأشغبوا واجتمع معهم حرم المنكوبين أيام ابن الفرات، فكان ذلك من أسباب نكبته. ثم أطلق أبو طاهر الأسرى الذي عنده ابن حمدان وأصحابه، وأرسل إلى المُقْتَدِر يطلب البصرة والأهواز، فلم يجبه وسار من هجر لاعتراض الحاج، وقد سار بين أيديهم جعفر بن ورقاء الشيباني في ألف رجل من قومه، وكان صاحب أعمال الكوفة وعلى الحاج بمثل صاحب البحر وجنا الصفواني وطريف البشكري وغيرهم في ستة آلاف رجل فقاتل جعفر الشيباني أولاً وهزمه. ثم اتبع الحاج إلى الكوفة فهزم عسكرهم وقتك فيهم، وأسرجنا الصفواني، وهرب الباؤون. وملك الكوفة وأقام بظاهرها ستة أيام يقيم في المسجد إلى الليل، ويبيت في عسكره. وحمل ما قدر عليه من الأموال والمتاع ورجع إلى هجر. ووصل المنهزمون إلى بغداد فتقدم المُقْتَدِر إلى مؤنس بالخروج إلى الكوفة، فسار إليها بعد خروجهم عنها، واستخلف عليها ياقوتاً، ومضى إلى واسط ليمانع أبا طاهر دونها، و ليحج أحد هذه السنة، وبعث المُقْتَدِر سنة أربع عشرة عن يوسف بن أبي السّاج من أذربيجان، وسيره إلى واسط لحرب أبي طاهر. ورجع مؤنس إلى بغداد، وخرج أبو طاهر سنة خمس عشرة وقصد الكوفة، وجاء الخبر إلى ابن أبي السّاج فخرج من واسط آخر رمضان يسابق أبا طاهر إليها، فسبقه أبو طاهر، وهرب العمال عنها واستولى على الأتراك والعلوفات التي أعدت بها. ووصل ابن أبي السّاج ثامن شوال بعد وصول أبي طاهر بيوم، وبعث يدعو إلى الطاعة للمقتدر، فقال لا طاعة إلا لله، فأذنه بالحرب وتزاحفوا يوماً إلى الليل. ثم انهزم أصحاب ابن أبي السّاج وأسروا ووكل أبو طاهر طبيباً يعالج جراحته، ووصل المنهزمون ببغداد فأرجفوا بالهرب، وبرز مؤنس المظفر لقصد الكوفة. وقد سار القرامطة إلى عين التمر فبعث مؤنس من بغداد خمسمائة سرية ليمنعهم من عبور الفرات. ثم قصد القرامطة الأنبار ونزلوا غربي الفرات، وجاؤا بالسفن من الحديثة، فأجاز فيهم ثلثمائة منهم، وقاتلوا عسكر الخليفة فهزموهم واستولوا على مدينة الأنبار. وجاء الخبر إلى بغداد فخرج

الحاجب في العساكر، ولحق بمؤنس المظفر واجتمعوا في نيف وأربعين ألف مقاتل إلى عسكر القرامطة ليخلصوا ابن أبي السّاج، فقاتلهم القرامطة وهزموهم. وكان أبو طاهر قد نظر إلى ابن أبي السّاج وهو يستشرف إلى الخلاص، وأصحابه يشيرونه، فأحضره وقتله وقتل جميع الأسرى من أصحابه، وكثر الهرج ببغداد، واتخذوا السفن بالإنحدار إلى واسط ومنهم من نقل متاعه إلى حلوان. وكان نازوك صاحب الشرطة فأكثر التطواف بالليل والنهار، وقتل بعض الدعار فاقصروا عن [٩]. ثم سار القرامطة عن الأنبار فاتحة سنة ست عشرة، ورجع مؤنس إلى بغداد، وسار أبو طاهر إلى الرحبة فملكها واستباحها، واستأمن إليه أهل قرقيسيا فأمنهم، وبعث السرايا إلى الأعراب بالجزيرة فنهبهم وهربوا بين يديه، وقدر إليهم الأناوة في كل سنة يحملونها إلى هجر. ثم سار أبو طاهر إلى الرقة وقتلها ثلاثاً، وبعث السرايا إلى رأس عين وكفر توّثا وسنجان فاستأمنوا إليهم، وخرج مؤنس المظفر من بغداد في العسكر وقصد الرقة، فسار أبو طاهر عنها إلى الرحبة ووصلها مؤنس، وسار القرامطة إلى هيت، فامتعت عليهم فساروا إلى الكوفة. وخرج من بغداد نصر الحاجب وهارون بن غريب وبنو بن قيس في العساكر إليها، ووصلت جند القرامطة إلى قصر ابن هبيرة. ثم مرض نصر الحاجب واستخلف على عسكره أحمد بن كيغغ، وعاد فمات في طريقه وولى مكانه على عسكره هارون بن غريب، وولى مكانه في الحجة ابنه أحمد. ثم انصرف القرامطة إلى بلادهم، ورجع هارون إلى بغداد في شوال من السنة. ثم اجتمع بالسواد جماعات من أهل هذا المذهب بواسطة وعين التمر، وولى كل جماعة عليهم رجلاً منهم، فولى جماعة واسط حريث بن مسعود، وجماعة عين التمر عيسى بن موسى وسار إلى الكوفة ونزل بظاهرها وصرف العمال عن السواد، وجبى الخراج. وسار حريث إلى أعمال الموفق وبنى بها داراً سماها دار الهجرة، واستولى على تلك الناحية، وكان صاحب الحرب بواسطة بني بن قيس، فهزموه، فبعث إليه المُقْتَدِر هارون بن غريب في العساكر، وإلى قرامطة الكوفة صافيا البصري، فهزموهم من كل جانب وجاؤوا بأعلامهم بيضاء، عليها مكتوب: (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض) الآية، وأدخلت إلى بغداد منكوسة، واضمحل أمر القرامطة بالسواد.

استيلاء القرامطة على مكة وقلعهم الحجر الاسود:

ثم سار أبو طاهر القرمطي سنة تسع عشرة إلى مكة، وحج بالناس منصور الديلمي، فلما كان يوم التروية، نهب أبو طاهر أموال الحجاج، وقتل فيهم بالقتل حتى في المسجد والكعبة، واقتلع الحجر الأسود وحمله إلى هجر، وخرج إليه أبو مخلب أمير مكة في جماعة من الأشراف، وسأله فلم يسعفهم، وقتلوه فقتلهم وقلع باب البيت، وأصعد رجلاً يقتلع الميزاب فسقط فمات، وطرح القتلى في زمزم، ودفن الباقيين في المسجد حيث قتلوا، ولم يغسلوا ولا صلي عليهم ولا كُفّنوا. وقسم كسوة البيت على أصحابه، ونهب بيوت أهل مكة، وبلغ الخبر إلى المهدي عبيد الله بأفريقية. وكانوا يظهرن الدعاء له، فكتب إليه بالنكير واللعن ويتهدده على الحجر الأسود، فرده وما أمكنه من أموال الناس واعتذر عن بقية ما أخذوه بافتراقه في الناس.

خلع المُقْتَدِر وعوده:

كان من أول الأسباب الداعية لذلك أن فتنة وقعت بين ماجوريه هارون الحال، ونازوك صاحب الشرطة في بعض مذاهب الفواحش، فحبس نازوك ماجوريه هارون، وجاء أصحابه إلى محبس الشرطة، ووثبوا بنائبه وأخذوا أصحابهم من الحبس. ورفع نازوك الأمر إلى المُقْتَدِر فلم يعد أحداً منهما لمكانهما منه، فعاد الأمر بينهما إلى المقاتلة. وبعث المُقْتَدِر إليهما بالنكير فاقصرا، واستوحش هارون، وخرج بأصحابه ونزل البستان النجمي وبعث إليه المُقْتَدِر يسترضيه، فأرجف الناس أن المُقْتَدِر جعله أمير الأمراء، فشق ذلك على أصحاب مؤنس. وكان بالرقعة فكتبوا إليه فأسرع العود إلى بغداد، ونزل بالشماسية مستوحشاً من المُقْتَدِر ولم يلقه، وبعث ابنه أبا العباس ووزيره ابن مقله لتلقيه وإيناسه فلم يقبل، وتمكنت الوحشة وأسكن المُقْتَدِر ابن خاله هارون معه في داره فازداد نفور مؤنس. وجاء أبو العباس بن حمدان من بلاده في عسكر كبير، فنزل عند مؤنس وتردد الأمراء بين المُقْتَدِر ومؤنس، وسار إليه نازوك صاحب

الشرطة، وجاءه بني بن قيس. وكان المُقْتَدِر قد أخذ منه الدينور، وأعادها إليه مؤنس، واشتمل عليه. وجمع المُقْتَدِر في داره هارون بن غريب وأحمد بن كيغغ، والغلمان الحجرية، والرجال المصافية، ثم انتقض أصحاب المُقْتَدِر وجاءوا إلى مؤنس وذلك في فتح سنة سبع عشرة. فكتب مؤنس إلى المُقْتَدِر بأن الناس ينكرون سرفه فيما أقطع الحرم والخدم من الأموال والضياع، ورجوعه إليهم في تدبير ملكه، ويطلبه بإخراجهم من الدار، وإخراج هارون بن غريب معهم، وانتزاع ما في أيديهم من الأموال والأموال. فأجاب المُقْتَدِر إلى ذلك وكتب يستعطفه ويذكره البيعة ويخوفه عاقبة النكث، وأخرج هارون إلى الثغور الشامية والجزرية، فسكن مؤنس ودخل إلى بغداد ومعه ابن حمدان ونازوك والناس يرففون بأنه خلع المصدر. فلما كان عشر محرم من هذه السنة ركب مؤنس إلى باب الشماسية وتشاور مع أصحابه قليلاً، ثم رجعوا إلى دار الخليفة بأسرهم، وكان المُقْتَدِر قد صرف أحمد بن نصر القسوري عن الحجابة وقلدها ياقوتاً، وكان على حرب فارس، فاستخلف مكانه ابنه أبا الفتح المظفر. فلما جاء مؤنس إلى الدار هرب ابن ياقوت وسائر الحجة والخدم والوزير وكل من بالدار، ودخل مؤنس فأخرج المُقْتَدِر وأمه وولده وخواص جواربه، فنقلهم إلى داره واعتقلهم بها، وبلغ الخبر هارون بن غريب بقطرُ، فدخل إلى بغداد واستتر، ومضى ابن حمدان إلى دار ابن طاهر فأحضر محمد بن المعتضد، وبايعوه ولقبوه القاهر بالته. وأحضروا القاضي أبا عمر المالكي عند المُقْتَدِر للشهادة عليه بالخلع، وقام ابن حمدان يتأسف له ويبكي ويقول: كنت أخشى عليك مثل هذا ونصحتك فلم تقبل، وأثرت قول الخدم والنساء على قلبي، ومع هذا فنحن عبيدك وخدمك. وأودع كتاب الخلع عند القاضي أبي عمر، ولم يظهر عليه أحداً حتى سلمه إلى المُقْتَدِر بعد عوده، فحسن موقع ذلك منه وولاه القضاء، ولما تم الخلع عمد مؤنس إلى دار الخليفة فنهبها، ومضى ابن نفيس إلى تربة أم المُقْتَدِر فاستخرج من بعض قبورها ستمائة ألف دينار وحملها إلى القاهر. وأخرج مؤنس علي بن عيسى الوزير من الحبس وولى علي بن مقله الوزارة، وأضاف إلى نازوك الحجابة مع الشرطة، وأقطع ابن حمدان حلوان والدينور وهمذان وكرمان والصيمرة ونهاوند وشيراز وماسيدان مضافاً إلى ما بيده من أعمال طريق خراسان، وكان ذلك منتصف المحرم. ولما تقلد نازوك الحجابة أمر الرجالة بتقويض خيامهم من الدار

وأدالهم ابن جالة من أصحابه فأسفهم بذلك، وتقدموا إلى خلفاء الحجاب بأن يمنعوا الناس من الدخول إلا أصحاب المراتب، فاضطربت الحجريّة لذلك، فلما كان سابع عشر المحرم وهو يوم الإثنين بكر الناس إلى الخليفة لحضور الموكب، وامتألت الرحاب وشاطئ دجلة بالناس، وجاء الرّجاله المصافية شاكي السلاح يطالبون بحق البيعة ورزق سنة، وقد بلغ منهم الحنق على نازوك مبالغه. وقعد مؤنس عن الحضور ذلك اليوم، وزعق الرّجاله المصافية، فنهى نازوك أصحابه أن يعرضوا لهم، فزاد شغبهم وهجموا على الصحن المنيعي ودخل معهم من كان على الشط من العامة بالسلاح، والقاهر جالس وعنده علي بن مقله الوزير ونازوك. فقال لنازوك: اخرج إليهم فسكنهم، فخرج وهو متحامل من الخمار، فتقدم إلى الرّجاله للشكوى بحالهم ورأى السيوف في أيديهم فهرب، فحدث لهم الطمع فيه وفي الدولة واتبعوه فقتلوه وخادمه عجيفاً، ونادوا بشعار المُقْتَدِر. وهرب كل من في الديار من سائر الطبقات وصلبوا نازوك وعجيفاً على شاطئ دجلة. ثم ساروا إلى دار مؤنس يطلبون المُقْتَدِر، وأغلق الخادم أبواب دار الخليفة، وكانوا كلهم صنائع المُقْتَدِر. وقصد أبو الهيجاء حمدان الفرات فتعلق به القاهر واستقدم به فقال له اخرج معي إلى عشيرتي أقتل دونك، فوجد الأبواب مغلقة فقال له ابن حمدان: قف حتى أعود إليك، ونزع ثيابه وليس بعض الخلقان، وجاء إلى الباب فوجده مغلماً والناس من ورائه، فرجع إلى القاهر وتمالاً بعض الخدام على قتله، فقاتلهم حتى كشفهم ودخل في بعض مسارب البستان، فجاؤه فخرج إليهم فقتلوه وحملوا رأسه. وانتهى الرّجاله إلى دار مؤنس يطلبون المُقْتَدِر، فسلمه إليهم وحملوه على رقابهم إلى دار الخلافة، فلما توسط الصحن المنيعي اطمأن وسأل عن أخيه القاهر وابن حمدان، وكتب لهما الأمان بخطه، وبعث فيهما فقيل له أن ابن حمدان قد قتل، فعظم عليه وقال والله ما كان أحمد بسيف في هذه الأيام غيره، وأحضر القاهر فاستدناه وقبل رأسه، وقال له لا ذنب لك ولو لُقّبوك المقهور لكان أولى من القاهر، وهو يبكي ويتطرح عليه حتى حلف له على الأمان، فانبسط وسكن. وطيف برأس نازوك وابن حمدان،

وخرج أبو نفيس هارباً من مكان استتاره إلى الموصل، ثم إلى أرمينية، ولحق بالقسطنطينية فتنصر، وهرب أبو السرايا أخو أبي الهيجاء إلى الموصل، وأعاد المُقْتَدِرُ أبا علي بن مقلّة إلى الوزارة، وأطلق للجند أرزاقهم وزادهم. وبيع ما في الخزائن بأرخص الأثمان، وأذن في بيع الأملاك لتتمة الأعطيات، وأعاد مؤنسا إلى محله من تدبير الدولة والتعويل عليه في أموره. ويقال إنه كان مقاطعاً للمقتدر وأنه الذي دس إلى المصافية والحجرية بما فعلوه، ولذلك قعد عن الحضور إلى القاهر. ثم أن المُقْتَدِرَ حبس أخاه القاهر عند أمه فبالغت في الإحسان إليه، والتوسعة عليه في النفقة والسراري.

أخبار قوواد الديلم وتغلبهم علي أعمال الخليفة:

قد تقدّم لنا الخبر عن الديلم في غير موضع من الكتاب، وخبر افتتاح بلادهم بالجيال والأمصار التي تليها، مثل طبرستان وجرجان وسارّية وآمد واستراباد، وخبر إسلامهم على يد الأطروش، وأنه جمعهم وملك بهم بلاد طبرستان سنة إحدى وثلاثمائة، وملك من بعده أولاده والحسن بن القاسم الداعي صهره، واستعمل منهم القوواد على ثغورها. فكان منهم ليلى بن النعمان، كانت إليه ولاية جرجان عن الحسن بن القاسم الداعي سنة ثمان وثلاثين. وكانت بين بني سامان وبين بني الأطروش والحسن بن القاسم الداعي وقوواد الديلم حروب هلك فيها ليلى بن النعمان سنة تسع وثلاثمائة، لأن أمر الخلفاء كان قد انقطع عن خراسان، ولولها لبني سامان. فكانت بسبب ذلك بينهم وبين أهل طبرستان من الحروب ما أشرنا إليه. ثم كانت بعد ذلك حرب مع بني سامان فولاهما من قواد الديلم شرخاب بن بهبودان، وهو ابن عم ماكان بن كالي، وصاحب جيش أبي الحسن الأطروش، وقاتله سيمجور صاحب جيش بني سامان، فهزمه وهلك شرخاب وولّى ابن الأطروش ما كان ابن كالي على استراباد. فاجتمع إليه الديلم وقدموه على أنفسهم، واستولى على جرجان كما يذكر ذلك كله في أخبار العلوية. وكان من أصحاب ما كان هذا أسفار ابن شيرويه من قواد الديلم عن ما كان إلى قواد بني سامان. فاتصل بيكر بن محمد بن اليسع بنيسابور، وبعثه في الجنود لافتتاح جرجان، وبها أبو الحسن بن كالي نائبا عن أخيه ماكان وهو بطبرستان. فقتل أبو الحسن وقام بأمر جرجان علي بن خرشيد. ودعا

أسفار ابن شيرويه إلى حمايتها من ما كان، فزحف إليهم من طبرستان فهزموه وغلبوه عليها ونصبوا أبا الحسن وعلي بن خرشيد. فزحف ما كان إلى أسفار وهزمه وغلبه على طبرستان، ورجع إلى بكر بن محمد بن اليسع بجرجان. ثم توفي بكر سنة خمس عشرة، فولى نصر بن أحمد بن سامان أسفار بن شيرويه مكانه على جرجان، وبعث أسفار عن مرداويج بن زيار الجيلي وقدمه على جيشه، وقصدوا طبرستان فملكوها. وكان الحسن بن القاسم الداعي قد استولى على الري وأعمالها من يد نصر بن سامان، ومعه قائده ماكان بن كالي. فلما غلب أسفار على طبرستان زحف إليه الداعي وقائده ماكان فانهزما وقتل الداعي ورجع ماكان إلى الري واستولى أسفار بن شيرويه على طبرستان وجرجان. ودعا لنصر بن أحمد بن سامان، ونزل سارية واستعمل على آمد هارون بن بهرام. ثم سار أسفار إلى الري فأخذها من يد ماكان بن كالي وسار ماكان إلى طبرستان واستولى أسفار على سائر أعمال الري وقزوين وزنجان وأبهروم والكرخ، وعظمت جيوشه وحدثه نفسه بالملك، فانتقص على نصر بن سامان صاحب خراسان، واعتزم على حربه وحرب الخليفة. وبعث المُقْتَدِر هارون بن غريب الحال في عسكر إلى قزوين، فحاربه أسفار وهزمه وقتل كثيراً من أصحابه، ثم زحف إليه نصر بن سامان من بخارى فراسله في الصلح وضمن أموال الجباية، فأجابه وولاه ورجع إلى بخارى، فعظم أمر أسفار وكثر عيثه وعسف جنده، وكان قائده مرداويج من أكبر قواده قد بعثه أسفار إلى سلار صاحب سميرم، والطرم يدعوه إلى طاعته. فاتفق مع سلار على الوثوب بأسفار، وقد باطن في ذلك جماعة من قواد أسفار ووزيره محمد بن مطرف الجرجاني. ونمي الخبر إلى أسفار، وثار به الجند فهرب إلى بيهق. وجاء مرداويج من قزوين إلى الري، وكتب إلى ماكان بن كالي يستدعيه من طبرستان ليظاهرة على أسفار، فقص ما كان أسفار، فهرب أسفار إلى الري ليتصل بأهله وماله، وقد كان أنزلهم بقلعة المرت، وركب المفازة إليها ونمي الخبر إلى مرداويج، فسار لاعتراضه. وقدم بعض قواده أمامه، فلحقه القائد وجاء به إلى مرداويج، فقتله ورجع إلى الري ثم إلى قزوين، وتمكن في الملك وافتتح البلاد وأخذ همذان والدينور وقم وقاشان وأصبهان، وأساء السيرة في أهل أصبهان وصنع سريراً من ذهب لجلوسه. فلما قوي أمره نازع ماكان في طبرستان فغلبه عليها. ثم طر إلى جرجان فملكها وعاد إلى أصبهان ظافراً. وسار ماكان على الديلم

مستنجداً بأبي الفضل الثائر بها، وسار معه إلى طبرستان فقاتلهم عاملها من قبل مرداويج بالقسم ابن بايحين وهزمهم، ورجع الثائر إلى الديلم، وسار ماكان إلى نيسابور، ثم سار إلى الدامغان فصده عنها القسم فعاد إلى خراسان. وعظم أمر مرداويج واستولى على بلد الرّيّ والجبل، واجتمع إليه الديلم، وكثرت جموعه وعظم خرجه. فلم يكف ما في يده من الأعمال فسما إلى التغلب على النواحي، فبعث إلى همذان الجيوش مع ابن أخته، وكانت بها عساكر الخليفة مع محمد بن خلف، فحاربهم وهزمهم وقتل ابن أخت مرداويج. فسار من الرّيّ إلى همذان، وهرب عسكر الخليفة عنها وملكها مرداويج عنوة واستباحها. ثم أمن بقيتهم. وأنفذ المُقْتَدِرَ هارون بن غريب الحال في العساكر، فلقبه مرداويج وهزمهم واستولى على بلاد الجبل وما وراء همذان، وبعث قائده إلى الدينور ففتحها عنوة، وانتهت عساكره إلى حلوان، فقتل وسبى. وسار هارون إلى قرقيسيا فأقام بها واستمد المُقْتَدِرَ وكان معه اليشكري من قواد اسفار، وكان قد استأمن بعد اسفار إلى الخليفة، وسار في جملته. وجاء مع هارون في هذه الغزاة إلى نهاوند لحمل المال إليه منها. فلما دخلها استمدت عينه إلى ثروة أهلها فصادرهم على ثلاثة آلاف ألف دينار، واستخرجها في مدة أسبوع، وجند بها جنداً ومضى إلى أصبهان، وبها يومئذ ابن كيغلب قبل استيلاء مرداويج عليها، فقاتله أحمد وانهزم وملك اليشكري أصبهان، ودخل إليها أصحابه، وقام بظاهاها. وسار أحمد بن كيغلب في ثلاثين فارساً إلى بعض قرى أصبهان وركب اليشكري ليتطوف على السور، فنظر إليهم فسار نحوهم فقاتلوه، وضربه أحمد بن كيغلب على رأسه بالسيف فقد المغفر وتجاوزته إلى دماغه فسقط ميتاً. وقصد أحمد المدينة ففر أصحاب اليشكري ودخل أحمد إلى أصبهان وذلك قبل استيلاء عسكر مرداويج عليها، فاستولى عليها وجددوا له فيها مساكن أحمد بن عَبْدِ العزيز بن أبي دلف العجلي وبساتينه، وجاء مرداويج في أربعين أو خمسين ألفاً، فنزلها وبعث جمعاً إلى الأهواز فاستولوا عليها، والي خوزستان كذلك، وجبى أموالها وقسم الكثير منها في أصحابه وادخر الباقي، وبعث إلى المُقْتَدِرِ يطلب ولاية هذه الأعمال وإضافة همذان وماء الكوفة إليها على مائتي ألف دينار كل سنة، فأجابته وقاطعه وولاه، وذلك سنة تسع عشرة. ثم دعا مرداويج

سنة عشرين أخاه وشكمير من بلاد كيلان، فجاء إليه بدوياً حافياً بما كان يعاني من أحوال البداوة والتبذل في المعاش، ينكر كل ما يراه من أحوال الترف ورقة العيش. ثم صار إلى ترف الملك وأحوال الرياسة، فرقت حاشيته وعظم ترفه، وأصبح من عظماء الملوك وأعرفهم بالتدبير والسياسة.

ابتداء حال أبي عَبدِ الله البريدي:

كان بداية أمره عاملاً على الأهواز، وضبط ابن ماكلان هذا الاسم بالموحدة والراء المهملة نسبة إلى البريد. وضبطه ابن مسكويه بالياء المثناة التحتائية والزاي نسبة إلى يزيد بن عَبدِ الله بن المنصور الحميري، كان جده يخدمه ولما ولي علي بن عيسى الوزارة واستعمل العمال، وكان أبو عَبدِ الله قد ضمن الخاصة بالأهواز وأخوه أبو يوسف على سوق فائق من الاقتصارية، وأخوه على هذا. فلما وزر أبو علي بن مقله بذل له عشرين ألف دينار على أن يقلده أعمالاً فائقة، فقلده الأهواز جميعها غير السوس وجنا سبور، وقلد أخاه أبا الحسن القرانية، وأخاهما أبا يوسف الخاصة والأسافل، وضمن المال أبا يوسف السمسار وجعل الحسين بن محمد المارداني مشرفاً على أبي عَبدِ الله، فلم يلتفت إليه، وكتب إليه الوزير ابن مقله بالقبض على بعض العمال ومصادرتهم. فأخذ منه عشرة آلاف دينار واستأثر بها على الوزير، فلما نكب ابن مقله كتب المُقْتَدِر بخطه إلى الحاجب أحمد بن نصر القسوري بالقبض على أولاد البريدي وأن لا يطلقهم إلا بكتابه، فقبض عليهم، وجاء أبو عَبدِ الله بكتاب المُقْتَدِر بخطه بإطلاقهم. وظهر تزويره فأحضرهم إلى بغداد وصودروا على أربعمئة ألف دينار فأعطوها.

الصوائف أيام المُقْتَدِر:

سار مؤنس المظفر سنة ست وتسعين في العساكر من بغداد إلى الفرات، ودخل من ناحية ملطية ومعه أبو الاغر السلمي، فظفر وغنم وأسر جماعة. وفي سنة سبع وتسعين بعث المُقْتَدِر أبا القاسم بن سيما لغزو الصائفة سنة ثمان وتسعين. وفي سنة تسع وتسعين غزا بالصائفة رستم أمير الثغور، ودخل من ناحية طرسوس ومعه دميانة،

وحاصر حصن مليح الأرمني ففتحه وأحرقه. وفي سنة ثلاثمائة مات إسكندروس بن لاور ملك الروم، وملك بعده ابنه قسطنطين ابن اثنتي عشرة سنة. وفي سنة إثنين وثلاثمائة سار علي بن عيسى الوزير في ألف فارس لغزو الصائفة مددا لبسر الخادم عامل طرسوس، ولم يتيسر لهم الدخول في المصيف، فدخلوا شاتية في كلب البرد وشدته، وغنموا وسبوا.

وفي سنة إثنين وثلاثمائة غزا بسر الخادم والي طرسوس بلاد الروم، ففتح وغنم وسبى وأسرى مائة وخمسين، وكان السبي نحو من ألفي راس. وفي سنة ثلاث وثلاثمائة أغارت الروم على ثغور الجزيرة ونهبوا حصن منصور وسبوا أهله بتشاغل عسكر الجزيرة بطلب الحسين بن حمدان مع مؤنس، حتى قبض عليه كما مر. وفي هذه السنة خرج الروم إلى ناحية طرسوس والفرات. فقاتلوا وقتلوا نحو من ستمائة فارس. وجاء مليح الأرمني إلى مرعش فعاث في نواحيها. ولم يكن للمسلمين في هذه السنة صائفة.

وفي سنة أربع بعدها سار مؤنس المظفر بالصائفة ومر بالموصل، فقلد سبكا المفلحي باريدي وقردي من أعمال الفرات، وقلد عثمان العبودي مدينة بلد وسنجار، ووصيفا البكتمري باقي بلاد ربيعة، وسار إلى ملطية، فدخل منها وكتب إلى أبي القاسم علي بن أحمد بن بسطام أن يدخل من طرسوس في أهلها، ففتح مؤنس حصوناً كثيرة وغنم وسبى ورجع إلى بغداد، فأكرمه المعتضد وخلع عليه. وفي سنة خمس وثلاثمائة وصل رسولان من ملك الروم إلى المُقْتَدِر في المهادنة والفداء، فتلقيا بالإكرام وجلس لهما الوزير في الابهة، وصف الأجناد بالسلح العظيم الشأن والزينة الكاملة، فأديا إليه الرسالة وأدخلهما من الغد على المُقْتَدِر وقد احتفل في الابهة ما شاء. فأجابهما إلى ما طلب ملكهم. وبعث مؤنساً الخادم للفداء وجعله أميراً على كل بلد يدخله إلى أن ينصرف. وأطلق الأرزاق الواسعة لمن سار معه من الجنود، وأنفذ معه مائة وعشرين ألف دينار للفدية. وفيها غزا الصائفة جنا الصفواني، فغنم وغزا وسير نمالي الخادم في الاسطول فغنم. وفي السنة بعدها غزا نمالي في البحر كذلك، وجنا الصفواني، فظفر وفتح وعاد وغزا بشر الافشين بلاد الروم، ففتح عدة حصون وغنم وسبى. وفي سنة سبع غزا نمالي في البحر فلقى مراكب المهدي صاحب أفريقية فغلبهم وقتل جماعة منهم، وأسرى خادماً للمهدي. وفي سنة عشر وثلاثمائة غزا محمد بن نصر الحاجب من الموصل على قاليقلا، فأصاب من الروم. وسار أهل طرسوس من ملطية فظفروا واستباحوا وعادوا. وفي سنة

إحدى عشرة غزا مؤنس المظفر بلاد الروم، فغنم وفتح حصونا. وغزا نمالي في البحر فغنم ألف رأس من السبي وثمانية آلاف من الظهر ومائة ألف من الغنم وشيئا كثيراً من الذهب والفضة. وفي سنة اثنتي عشرة جاء رسول ملك الروم بالهدايا ومعه أبو عمر بن عد الباقي يطلبان الهدنة وتقدير الفداء، فأجيبا إلى ذلك. ثم غدروا بالصائفة فدخل المسلمون بلاد الروم فأخذوا ورجعوا. وفي سنة أربع عشرة خرجت الروم إلى ملطية ونواحيها من الدمستق، ومليح الأرمني صاحب الدروب، وحاصروا ملطية وهربوا إلى بغداد واستغاثوا فلم يغاثوا. وغزا أهل طرسوس بالصائفة فغنموا ورجعوا. وفي سنة خمس عشرة دخلت سرية من طرسوس إلى بلاد الروم، فأوقع بهم الروم وقتلوا أربعمئة رجل صبراً، وجاء الدمستق في عساكر من الروم إلى مدينة ديبيل، وبها نصر السبكي فحاصرها وضيق مخنقها واشتد في قتالها حتى نقب سورها ودخل الروم إليها، ودفعهم المسلمون فأخرجوهم وقتلوا منهم بعد أن غنموا ما لا يحصى وعاثوا في أنعامهم، فغنموا من الغنم ثلاثمئة ألف رأس فأكلوها. وكان رجل من رؤساء الأكراد يعرف بالضحك في حصن له يعرف بالجعبري، فتنصر وخدم ملك الروم فلقبه المسلمون في سنة الغزاة فأسروه وقتلوا من معه. وفي سنة ست عشرة وثلاثمئة خرج الدمستق في عساكر الروم، فحاصر خلاط وملكها صلحا وجعل الصليب في جامعها ورحل إلى تديس ففعل بها كذلك. وهرب أهل أردن إلى بغداد واستغاثوا فلم يغاثوا. وفيها ظهر أهل ملطية على سبعمئة رجل من الروم والأرمن دخلوا بلدهم خفية وقدمهم مليح الأرمني ليكونوا لهم عوناً إذا حاصروها، فقاتلهم أهل ملطية عن آخرهم. وفي سنة سبع عشرة بعث أهل الثغور الجزرية مثل ملطية وفارقين وأمد وارزا يستمدون المُقْتَدِر في العساكر، وإلا فيعطوا الاتاوة للروم فلم يمدهم، فصالحوا الروم وملكوا البلاد. وفيها دخل مفلح الساجي بلاد الروم. وفي سنة عشرين غزا نمالي بلاد الروم من طرسوس، ولقي الروم فهزمهم وقتل منهم ثلثمائة وأسر ثلاثة آلاف، وغنم من الفضة والذهب شيئاً كثيراً وعاد بالصائفة في سنته في حشد كثير، وبلغ عمورية فهرب عنها من كان تجمع إليها من الروم، ودخلها المسلمون فوجدوا من الأمتعة والأطعمة كثيراً، فغنموا وأحرقوا وتوغلوا في بلاد الروم يقتلون ويكتسحون ويخربون حتى بلغوا انكمورية التي مصرها أهده، وعادوا سالمين. وبلغت قيمة السبي مائة ألف وستة وثلاثين ألف دينار. وفي هذه السنة راسل ابن

الزيداني وغيره من الأرمن في نواحي أرمينية وحثوا الروم، على قصد بلاد الإسلام، فساروا وخرّبوا نواحي خلاط، وقتلوا وأسروا فسار إليهم مفلح غلام يوسف بن أبي السّاج من أذربيجان في جموع من الجند والمتطوعة، فأُتخن في بلاد الروم حتى يقال أن القتلى بلغوا مائة ألف وخرّب بلاد ابن الريداني ومن وافقه، وقتل ونهب. ثم جاءت الروم إلى سميساط فحصرها وأمدهم سعيد بن حمدان، وكان المُقتدِر ولاء الموصل وديار ربيعة على أن يسترجع ملطية من الروم. فلما جاء رسول أهل سميساط إليهم فأجفل الروم عنها فسار إلى ملطية وبها عساكر الروم ومليح الأرمني صاحب الثغور الرومية، وبنى ابن قيس صاحب المُقتدِر الذي تنصر. فلما أحسوا بإقبال سعيد هربوا وتركوها خشية أن يشب بهم أهلها، وملكها سعيد فاستخلف عليها وعاد إلى الموصل.

الولايات علم النواحي أيام المُقتدِر:

كان باصيهان عَبدُ الله بن إبراهيم المسمعي عاملاً عليها، خالف لأول ولاية المُقتدِر وجمع من الأكراد عشرة آلاف، وأمر المُقتدِر بدرأ الحمامي عامل أصبهان بالمسير إليه. فسار إليه في خمسة آلاف من الجند وأرسل من يخوفه عاقبة المعصية، فراجع الطاعة وسار إلى بغداد واستخلف على أصبهان. وكان على اليمن المظفر بن هاج. ففتح ما كان غلب عليه الحرثي باليمن وأخذ الحاتمي من أصحابه. وكان على الموصل أبو الهيجاء بن حمدان، وسار أخوه الحسين بن حمدان وأوقع بأعراب كلب وطيء، وأسر سنة أربع وتسعين. ثم سار إلى الأكراد المتغلبين على نواحي الموصل سنة خمس وتسعين فاستباحهم وهربوا إلى رؤوس الجبال. وخرج بالحاج في سنة أربع وتسعين رصيف بن سوارتكين فحصره أعراب طيء بالقتال وأوقعهم فهزمهم، ومضى إلى وجهه. ثم أوقع بهم هنالك الحسن بن موسى فأُتخن فيهم. وكان على فارس سنة ست وتسعين اليشكري غلام عمرو بن الليث، فلما تغلب وكان على الثغور الشامية أحمد بن كيغلق في سنة سبع وتسعين ملك الليث فارس من يد اليشكري، ثم جاءه مؤنس فعليه وأسره ورجع اليشكري إلى عمله كما مر في خبره. وفي سنة ست وتسعين وصل ناسر موسى بن سامان وقلد ديار ربيعة وقد مرّ ذكره.

وفيهما رجع الحسين حمدان من الخلاف وعقد له على قم وقاشان، فسار إليها ونزل عنها العباس بن عمر الغنوي. وفي سنة سبع وتسعين توفي عيسى النوشري عامل مصر، وولى المُقْتَدِر مكانه تكين الخادم. وفي سنة ثمان وتسعين توفي منيح خادم الافشين وهو عامل فارس، وكان معه محمد بن جعفر الفربابي فماتا معا، وولى على فارس عَبدُ الله بن إبراهيم المسمعي وأضيفت إليه كرمان. وفيها وليت أم موسى الهاشمية قهرمة دار المُقْتَدِر، وكانت تؤذي الرسائل عن المُقْتَدِر وأمه إلى الوزراء، وعن الوزراء إليهما. وفي سنة تسع وتسعين كان على البصرة محمد بن إسحاق بن كنداج، وجاء إليه القرامطة فقاتلهم فهربوا. وفي سنة ثلاثمائة عزل إبراهيم بن عَبدُ الله المسمعي عن فارس وكرمان ونقل إليها بدر الحمامي عامل أصبهان، وولى على أصبهان علي بن وهشودان. وفيها ولى بشير الافشين طرسوس، وفيها قلد أبو العباس بن المُقْتَدِر مصر والمغرب وهو ابن أربع سنين، واستخلف له على مصر مؤنس المظفر وقلد معين الطولوني المعونة بالموصل. ثم عزل واستعمل مكانه نحرير الصغير. وفيها خالف أبو الهيجاء عَبدُ الله بن حمدان بالموصل، فسار إليه مؤنس وجاء به على الأمان. ثم قلد الموصل سنة إثنيتين وثلاثمائة فاستخلف عليها وهو ببغداد. ثم خالف أخوه الحسين سنة ثلثمائة وسار إليه مؤنس وجاء به أسيرا، فحبس. وقبض المُقْتَدِر على أبي الهيجاء واخوته جميعاً فحبسوا. وفيها ولى الحسين بن محمد بن عيوننة عامل الخراج والضياح بديار ربيعة بعد وفاة أبيه محمد بن أبي بكر. وفي سنة أربع عزل على بن وهشودان صاحب الحرب بأصبهان بمنافرة وقعت بينه وبين أحمد بن شاه صاحب الخراج، وولى مكانه أحمد بن مسرور البلخي. وأقام ابن وهشودان بنواحي الجبل. ثم تغلب يوسف بن أبي السّاح عليها كما مر، وسار إليه مؤنس سنة سبع فهزمه وأسرته، وولى على أصبهان وقم وقاشان وسأوة أحمد بن علي بن صلوك، وعلى الرى ودياوند وقزوين وأبهر وزنجان علي بن وهشودان، استدعاه من الجبل فولاه، ووثب به عمه أحمد بن مسافر صاحب الكرم فقتله بقزوين. فاستعمل مكانه على الحرب وصيفا البكنمري، وعلى الخراج محمد بن سليمان.

ثم سار أحمد بن صلوك إليها فقتل محمد بن سليمان وطرد وصيفا، ثم قاطع على الأعمال بمال معلوم كما مر. وكان على أعمال سجستان كثير بن أحمد مقهور متغلباً عليها، فسار إليه أبو الحمامي عامل فارس، فخافه كثيراً وقاطع

على البلاد وعقد له عليها. وكان على كرمان سنة أربع وثلثمائة أبو زيد خالد بن محمد المارداني، فانتقض وسار إلى شيراز، فقاتله بدر الحمامي وقتله. وفي هذه السنة قتل مؤنس المظفر عند مسيره إلى الصائفة وانتهائه إلى الموصل، فولّوا على بلد باريدى وقردى سبكاً المفلحي، وعلى مدينة بلد وسنجان وباكري عثمان العبودي صاحب الحرس بديار مصر، فولى مكانه وصيف البكتمري فعجز عن القيام بها، فعزل وولّى مكانه جنا الصفواني. وكان على البصرة في هذه السنة الحسن بن الخليل، تولاها منذ سنين ووقعت فتن بينه وبين العامة في مضر وربيعة، واتصلت وقتل منهم خلق. ثم اضطره إلى الالتحاق بواسطة، فاستعمل عليها أبا دلف هاشم بن محمد الخزاعي، ثم عزل لسنة، وولى سبكاً المفلحي نيابة عن شفيق المقتدر. وفي سنة ست وثلثمائة عزل عن الشرطة نزار وجعل فيها نجيح الطولوني، فأقام في الأرباع فقهاء يعمل أهل الشرطة بفتواهم، فضعت الهيئة بذلك، وكثر اللصوص والعيارون، وكبست دور التجار، واختطفت ثياب الناس. وفي سنة سبع وثلثمائة ولي إبراهيم بن حمدان ديار ربيعة، وولّى بنيّ بن قيس بلاد شهرزور، واتسعت عليه فاستمد المُقْتَدِر وحاصرها. ثم قلد الحرب بالموصل وأعمالها، وكان على الموصل قبله محمد بن إسحاق بن كنداج، وكان قد سار لإصلاح البلاد، فوقع فتنة بالموصل فرجع إليها فمنعوه الدخول فحاصروهم. وعزله المُقْتَدِر سنة ثلاث وثلثمائة وولّى مكانه عبْدُ الله بن محمد الغساني. وفي سنة ثمان وثلثمائة ولي المُقْتَدِر أبا الهيجاء عبْدُ الله بن حمدان على طريق خراسان والدرّنور، وفيها ولى على دقوقاً وعكبراً وطريق الموصل بدرّاً الشرايبي. وفي سنة تسع ولى المُقْتَدِر على حرب الموصل ومعونتها محمد بن نصر الحاجب، فسار إليها وأوقع بالمخالفين من الأكراد المادرائية. وفيها ولي داود بن حمدان على ديار ربيعة. وفي سنة عشر عقد ليوسف بن أبي السّاج على الرّيّ وقزوين وأبهرورّجان وأذربيجان على تقدير العلوية كما مرّ. وفيها قبض المُقْتَدِر على أم موسى، القهرمانه لأنها كانت كثيرة المال، وزوجت بنت أختها من بعض ولد المتوكل، كان مرشحاً للخلافة، وكان محسناً. فلما صاهرته أوسعت في الشوار واليسار والعرس، وسعى بها إلى المُقْتَدِر أنها استخلصت القوّد، فقبض عليها وصادرها على أموال عظيمة، وجواهر نفيسة. وفيها قتل خليفة نصر بن محمد الحاجب بالموصل، قتله العامة، فجهز العساكر من بغداد،

وسار إليها. وفي سنة إحدى عشرة ملك يوسف بن أبي السَّاج الرِّيِّ من يد أحمد بن علي صلوك، وقتله المُقْتَدِر، وقد مرَّ خبره. وفيها وُلِّي المُقْتَدِر بنيَّ بن قيس على حرب أصبهان، وولَّى محمد بن بدر المعتصدي على فارس مكان ابنه بدر عندما هلك. وفي سنة إثنى عشرة وُلِّي على أصبهان يحيى الطولوني، وعلى المعاون والحرب بنهاوند سعيد بن حمدان. وفيها توفي محمد بن نصر الحاجب صاحب الموصل، وتوفي شفيع اللؤلؤي صاحب البريد، فولَّى مكانه شفيع المقتدري. وفي سنة ثلاث عشرة فتح إبراهيم المسمعي عامل فارس ناحية القفص من حدود كرمان، وأسر منهم خمسة آلاف. وكان في هذه السنة وُلِّي على الموصل أبا الهيجاء عَبْدَ الله بن حمدان، وابنه ناصر الدولة خليفة فيها، فأفسد الأكراد والعرب بأرض الموصل وطريق خراسان وكانت إليه، فكتب إليه ابنه ناصر الدولة سنة أربع عشرة بالإنحذار إلى تكريت للقاءه، فجاءه في الحشد وأوقع بالعرب والأكراد الخلاية وحسم علتهم. وفيها قلد المُقْتَدِر يوسف بن أبي السَّاج أعمال الشرق وعزله عن أذربيجان وولاه واسط، وأمهده بالسير إليها لحرب القرامطة، وأقطعته همذان وساوة وقم وقاشان وماه البصرة وماه الكوفة وماسبذان للنفقة في الحرب، وجعل على الرِّيِّ من أعماله نصر بن سامان، فولبها وصار من عماله كما مرَّ. وفيها وُلِّي أعمال الجزيرة والضياح بالموصل أبا الهيجاء عَبْدَ الله بن حمدان، وأضيف إليه باريدي وقردي وما إليهما. وفيها قتل ابن أبي السَّاج كما مرَّ. وفي سنة خمس عشرة مات إبراهيم المسمعي بالنونديجان، وولَّى المُقْتَدِر على مكانه ياقوت، وعلى كرمان أبا طاهر محمد بن عَبْدَ الصمد. وفي سنة ست عشرة عزل أحمد بن نصر القسوري عن حجة الخليفة وولبها ياقوت وهو على الحرب بفارس واستخلف عليها ابنه أبا الفتح المظفر. وفيها وُلِّي على الموصل وأعمالها يونس المؤنسي، وكان على الحرب بالموصل ابن عَبْدَ الله بن حمدان، وهو ناصر الدولة فعضب وعاد إلى الخلافة. وقتل في تلك الفتنة نازوك، وأقر على أعمال قردي وباريدي التي كانت بيد أبي الهيجاء ابنه ناصر الدولة الحسن، وعلى أعمال الموصل تحريراً الصغير. ثم ولى عليها سعيداً ونصراً إبنني حمدان، وهما أخوا أبي الهيجاء. وولى ناصر الدولة على ديار ربيعة ونصيبين وسنجار والخابور ورأس عين وميفارقين من ديار بكر وأرزن على مقاطعة معلومة. وفي سنة ثمان عشرة صرف إبننا رائق عن الشرطة، وولبها أبو بكر محمد بن ياقوت عن الحجة، وقلد أعمال فارس وكرمان. وقلد

إبنة المظفرأصهبان، وإبنة أبا بكر محمداً سجستان، وجعل مكان ياقوت وولده في الحجة والشرطة إبراهيم ومحمد ابنا رائق، فأقام ياقوت بشيراز، وكان علي بن خلف ابن طيان على الخوارج، فتعاقدوا على قطع الحمل عن المُقْتَدِرِ إلى أن ملك علي ابن بويه بلاد فارس سنة ثلاث وعشرين وفي هذه السنة غلب مرداويج على أصهبان وهمذان والري وحلوان، وقاطع عليها بمال معلوم وصارت في ولايته.

استيحاء مؤنس من المُقْتَدِرِ ومسيره إلى الموصل:

كان الحسين بن القاسم بن عبْد الله بن وهب وزيراً للمقتدر، وكان مؤنس منحرفاً عنه قبل الوزارة حتى أصلح بليق حاله عند مؤنس، فوزر واختص به بنو البريدي وابن الفرات. ثم بلغ مؤنساً أن الحسين قد واطأ جماعة من القواد في التدبير عليه، فتنكر له مؤنس وضاعت الدنيا على الحسين وبلغه أن مؤنساً يكبسه، فانتقل إلى دار الخلافة وكتب الحسين إلى هارون بن غريب الحال يستقدمه وكان مقيماً بدير العاقول بعد انهزامه من مرداويج كتب إلى محمد بن ياقوت يستقدمه من الأهواز فاستوحش مؤنس. ثم جمع الحسين الرجال والغلمان الحجرية في دار الخلافة، وأنفق فيهم فعظمت نفرة مؤنس، وقدم هارون من الأهواز فخرج مؤنس مغاضباً للمقتدر وقصد الموصل، وكتب الحسين إلى القواد الذين معه بالرجوع فرجع منهم جماعة، وسار مؤنس في أصحابه ومواليه ومعه من الساجية ثمانمائة من رجالهم، وتقدم الوزير بقبض أملاكه وأملاك من معه وأقطاعهم، فحصل منه مال كثير، واغتبط المُقْتَدِرُ به لذلك ولقبه عميد الدولة ورسم إسمه في السكة وأطلق يده في الولاية والعزل، فولى على البصرة وأعمالها أبا يوسف يعقوب بن محمد البريدي على مبلغ ضمنه، وكتب إلى سعيد وداود ابني حمدان وابن أخيها ناصر الدولة الحسين بن عبْد الله بمحاربة مؤنس، فاجتمعوا على حربه إلا داود فإنه توقف لإحسان مؤنس إليه وتربيته إياه. ثم غلبوا عليه فوافقهم على حربه، وجمع مؤنس في طريقه رؤساء العرب، وأوهمهم أن الخليفة ولاه الموصل وديار ربيعة، فنفر معه بعضهم واجتمع له من العسكر ثمانمائة وزحف إليه بنو حمدان في ثلاثين ألفاً فهزموه، وملك مؤنس الموصل في صفر من سنة عشرين، وجاءته العساكر من بغداد والشام ومصر رغبة في إحسانه. وعاد ناصر الدولة بن حمدان إلى خدمته وأقام معه بالموصل ولحق سعد ببغداد.

مقتل المُقْتَدِرِ وبيعة القاهر:

ولما ملك مؤنس الموصل أقام بها تسعة واجتمعت العساكر، فإندحر إلى بغداد لقتال المُقْتَدِرِ، وبعث المُقْتَدِرِ الجنود مع أبي بكر محمد بن ياقوت وسعد بن حمدان، فرجع عنهم العسكر إلى بغداد ورجعوا. وجاء مؤنس فنزل بباب الشماسية والقواد قبالته، وندب المُقْتَدِرِ ابن خاله هارون بن غريب إلى الخوارج لقتاله، فاعتذر ثم خرج، وطالبوا المُقْتَدِرِ بالمال لنفقات الجند، فاعتذر وأراد أن يندحر إلى واسط ويستدعي العساكر من البصرة والأهواز وفارس وكرمان، فرده ابن ياقوت عن ذلك وأخرجه للحرب وبين يديه الفقهاء والقواد والمصاحف مشهورة وعليه البردة والناس يحدقون به، فانهزم أصحابه ولقيه علي بن بليق من أصحاب مؤنس، فعظمه وأشار عليه بالرجوع ولحقه قوم من المغاربة والبربر فقتلوه وحملوا رأسه وتركوه بالعراء، فدفن هنالك. ويقال: أن علي بن بليق أشار إليهم بقتله. ولما رأى مؤنس ذلك ندم وسقط في يده، وقال والله لنقتلن جميعاً، ولقدّم إلى الشماسية وبعث من يحتاط على دار الخلافة، وكان ذلك لخمس وعشرين سنة من خلافة المُقْتَدِرِ. فانسع الخرق وطمع أهل القاصية في الاستبداد، وكان مهملًا لأمر خلافته محكمًا للنساء والخدم في دولته، مبدراً لأمواله. ولما قتل لحق ابنه عَبدُ الواحد بالمدائن ومعه هارون بن غريب الحال ومحمد بن ياقوت وإبراهيم بن رائق. ثم اعتزم مؤنس على البيعة لولده أبي العباس وكان صغيراً، فعزله وزيره أبو يعقوب إسماعيل النويحي في ولاية صغير في حجر أمه، وأشار لأخيه أبي منصور محمد بن المعتضد، فأجاب مؤنس إلى ذلك على كره، وأحضره وبوع آخر شوال من سنة عشرين، ولقبوه القاهر بالله. واستحلفه مؤنس لنفسه ولحاجبه بليق وابنه علي، واستقدم أبا علي بن مقله من فارس فاستوزره، واستحجب علي بن بليق. ثم قبض على أم المُقْتَدِرِ وضربها على الأموال، فحلفت فأمرها بحل أوقافها فامتنعت، فأحضر هو القضاة وأشهد بحل أوقافها ووكل في بيعها، فاشتراها الجند من أرزاقهم وصادر جميع حاشية المُقْتَدِرِ، واشتد في البحث عن ولده وكبس عليهم المنازل إلى أن ظفر بأبي العباس الراضي وجماعة من إخوته وصادرهم وسلمهم عليّ ابن بليق إلى كاتبه الحسين بن هارون، فأحسن صحبتهم وقبض الوزير ابن مقله على البريدي وإخوته وأصحابه وصادرهم على جملة من المال.

خبر ابن المُقْتَدِرِ وأصحابه:

قد ذكرنا أن عَبْدَ الواحد بن المُقْتَدِرِ لحق بعد مقتل أبيه بالمدائن، ومعه هارون بن غريب الحال ومفلح ومحمد بن ياقوت وابنا رائق، ثم انحدروا منها إلى واسط وأقاموا بها، وخشيهم القاهر على أمره واستأمن هارون بن غريب على أن يبذل ثلثمائة ألف دينار وتطلق له أملاكه، فأمنه القاهر ومؤنس وكتب له بذلك وعقد له على أعمال ماه الكوفة وماسبذان ومهروبان، وسار إلى بغداد، وسار عَبْدَ الواحد بن المُقْتَدِرِ فيمن معه من واسط، ثم إلى السوس وسوق الأهواز، وطردوا العمال وجبوا الأموال. وبعث مؤنس إليهم بليقاً في العساكر، وبذل أبو عَبْدَ الله البريدي في ولاية الأهواز خمسين ألف دينار فأنفقت في العساكر. وسار معهم وانتهوا إلى واسط ثم إلى السوس، فجازر عَبْدَ الواحد ومن معه من الأهواز إلى تستر، ثم فارقه جميع القواد واستأمنوا إلى بليق إلا ابن ياقوت ومفلحاً ومسروراً الخادم، وكان محمد بن ياقوت مستبداً على جميعهم في الأموال والتصرف، فنفروا لذلك واستأمنوا لأنفسهم ولابن المُقْتَدِرِ إلى بليق، فأمنهم بعد أن استأمنوا محمد بن ياقوت وأذن لهم. ثم استأمن هو على بليق إلى أمان القاهر ومؤنس، وساروا إلى بغداد جميعهم فوفى لهم القاهر وأطلق لعبد الواحد أملاكه وترك لأمه المصادرة التي صادرها، واستولى أبو عَبْدَ الله البريدي على أعمال فارس، وأعاد إخوته إلى أعمالهم.

مقتل مؤنس وبليق وابنه:

لما رجع محمد بن ياقوت من الأهواز واستخلصه القاهر واختصه لخلواته وشوراه، وكانت بينه وبين الوزير ابن علي بن مقله عداوة، فاستوحش لذلك ودس إلى مؤنس أن محمد بن ياقوت يسعى به عند القاهر، وأن عيسى الطبيب سفيره في ذلك، فبعث مؤنس علي بن بليق لإحضار عيسى، وتقدم علي بن بليق بالإحتياط على القاهر، فوكل به أحمد بن زبرك وضيق على القاهر وكشف وجوه النساء المختلفات إلى القصر خشية إيصالهم الرقاع إلى القاهر حتى كشفت أواني الطعام، ونقل بليق المحاييس من دار الخلافة إلى داره وفيهم أم المُقْتَدِرِ، فأكرمها علي بن بليق وأنزلها عند أمه فماتت في جمادى من سنة إحدى وعشرين. وعلم القاهر أن ذلك من مؤنس وابن مقله، فشرع في التدبير عليهم. وكان طريف السيكمرى ونشري من خدم

مؤنس قد استوحشا من مؤنس لتقدم بليق وابنه عليهما. وكان اعتماد مؤنس على الساجية وقد جاؤا معه من الموصل ولم يوف لهم فاستوحشوا لذلك، فداخلهم القاهر جميعاً وأغراهم بمؤنس وبليق وبعث إلى أبي جعفر محمد بن القاسم بن عبّد الله وكان مختصاً بابن مقله وصاحب رأيه، فوعده بالوزارة، فكان يطالعه بالأخبار. وشعر ابن مقله بذلك فأبلغوا إلى مؤنس وبليق، وأجمعوا على خلع القاهر، واتفق بليق وابنه علي وابن مقله والحسن بن هارون على البيعة لأبي أحمد بن المكتفي فبايعوه، وحلفوا له وأطلعوا مؤنساً على ذلك، فأشار بالمهل وتأنيس القاهر حتى يعرفوا من واطأه من القواد والساجية والحجرية، فأبوا وهونوا عليه الأمر في استعجال خلعه فأذن لهم، فأشاعوا أن أبا طاهر القرمطي ورد الكوفة، وندبوا علي بن بليق للمسير إليه ليدخل للوداع ويقبض على القاهر، وابن مقله كان نائماً فلما استيقظ أعاد الكتاب إلى القاهر فاستراب. ثم جاءه طريف السيكري غلام مؤنس في زي امرأة مستنصحا، فأحضره وأطلعته على تدبيرهم وبيعتهم لأبي أحمد بن المكتفي فأخذ القاهر حذره، وأكمن الساجية في دهاليز القصر وممراته، وجاء علي بن بليق في خوف من أصحابه، واستأذن فلم يؤذن له، وكان ذا خمار، فغضب وأفحش في القول فأخرج الساجية في السلاح وشموه وردوه، وفرّ عنه أصحابه، وألقى بنفسه في الطيار وعبر إلى الجانب الغربي. واختفى الوزير ابن مقله والحسن بن هارون، وركب طريف إلى دار القاهر، فأنكر بليق ما جرى لابنه وشم الساجية وقال: لا بد أن أستعدي الخليفة عليهم، وجاء إلى القاهر ومعه قواد مؤنس، فلم يأذن له وقبض عليه وحبسه، وعلى أحمد بن زبيرك صاحب الشرطة وجاء العسكر منكرين لذلك فاسترضاهم ووعدهم بالزيادة وبإطلاق هؤلاء المحبوسين فافترقوا، وبعث إلى مؤنس بالحضور عنده ليطالعه برأيه فأبى فعزله، وولّى طريف السيكري مكانه وأعطاه خاتمه وقال: قد فوضت إلى ابني عبّد الصمد ما كان المُقْتَر فوضه إلى ابنه محمد، وقلدتك خلافته ورياسة الجيش وإمارة الأمراء وبيوت الأموال كما كان مؤنس وأمض إليه وأحمله إلى دار الخلافة مرفهاً عليه لئلا يجتمع إليه أهل الشر ويفسد ما بيننا

وبينه. فسار طريف إلى مؤنس وأخبره بأمان القاهر له ولأصحابه، وحمله على الحضور عنده وهون عليه أمره، وأن القاهر لا يقدر على مكروهة. فركب وحضر فقبض عليه القاهر وحبسه قبل أن يراه، وندم طريف على ما فعل، واستوحش. واستوزر القاهر أبا جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله، ووكل بدور مؤنس وبلّيق وابنه عليّ وابن مقلّة وابن زيرك وابن هارون ونقل ما فيها، وأحرقت دار ابن مقلّة، وجاء محمد بن ياقوت وقام بالحجّة، فتنكر له طريف السيكري والساجية فاخفى ولحق لابنه بفارس وكتب إليه القاهر بالعتب على ذلك وولاه الأهواز، وكان الذي دعا طريفاً السيكري إلى الإنحراف عن مؤنس وبلّيق أن مؤنساً رفع رتبة بليق وابنه عليه بعد أن كانا يخدمانه، فأهملا جانبه. ثم اعتمز بليق على أن يوليه مصر وفاوض في ذلك الوزير ابن مقلّة، فوافق عليه ثم أراد عليّ بن بليق عمل مصر لنفسه ومنع من إرسال طريف فتربص بهم. وأمّا الساجية فكانوا مع مؤنس بالموصل وكان يعدهم ويمنيهم. ولما وليّ القاهر واستبد بأمره لم يف لهم. وكان من أعيانهم الخادم صندل، وكان له بدار القاهر خادم إسمه مؤتمن باعه واتصل بالقاهر قبل الخلافة فلما شرع في التدبير على مؤنس وبلّيق بعث مؤنساً هذا إلى صندل يمت إليه تقديمه ويدخله في أمر القاهر وإزالة الحجر عنه. فقصد إلى صندل وزوجته وتلطف ووصف القاهر بما شاء من محاسن الأخلاق، وحمل زوجته على الدخول إلى دار القاهر حتى شافهها بما أراد إبلاغه إلى صندل، وداخل صندل في ذلك سيما من قواد الساجية، واتفقوا على مداخلة طريف السيكري في ذلك لعلمهم باستيحاشه من مؤنس، فأجابهم على شريطة الإبقاء على مؤنس وبلّيق وابنه وأن لا يزال مؤنس من مرتبته وتحالفوا على ذلك من الجانبين. وطلب طريف عهد القاهر بخطه فكتب وزاد فيه أنه يصلي بالناس ويخطب لم ويحج بهم ويغزو معهم ويتنّد لكشف المظالم وغير ذلك من حسن السيرة، وكان جماعة من الحجرية قد أبعدهم ابن بليق وأدال منهم بأصحابه، فداخلهم طريف في أمر القاهر فأجابوه. ونمي الخبر بذلك إلى ابن مقلّة وإلى بليق، وأرادوا القبض على قواد الساجية والحجرية. ثم خشوا الفتنة ودبروا على القاهر فلم يصلوا إليه لاحتجابه عنهم بالمرض. فوضعوا أخبار القرامطة كما قدمناه. ولما قبض القاهر على مؤنس وليّ الحجابة سلامة الطولوني. وعلى الشرطة أحمد بن خاقان، واستوزر أبا جعفر محمد بن القاسم ابن عبّد الله مكان ابن مقلّة،

وأمر بالنداء على المتسترين والوعيد لمن أخفى، وطلب أبا أحمد بن المكتفي فظفر به، وبنى عليه حائطاً فمات. ثم ظفر بعلي فقتله. ثم شغب الجند في شعبان ومعهم أصحاب مؤنس وثاروا ونادوا بشعاره، وطلبوا إطلاقه وأحرقوا روشن دار الوزير أبي جعفر. فعمد القاهر إلى بليق في محبسه وأمر به فذبح وحمل الرأسين إلى مؤنس، فلما رآهما مؤنس استرجع ولعن قاتلهما فأمر به فذبح وطيف بالرؤوس. ثم أودعت بالخزانة. وقيل أن قتل علي بن بليق تأخر عن قتل أبيه ومؤنس لأنه كان مختفياً، فلما ظفر به بعدهما قتله. ثم بعث القاهر إلى أبي يعقوب إسحق بن إسماعيل اليوصحي فأخذ من محبس الوزير محمد بن القاسم وحبسه، وارتاب الناس من شدة القاهر، وندم الساجية والحجرية على مداخلته في ذلك الأمر. ثم قبض القاهر على وزيره أبي جعفر وأولاده وأخيه عبيد الله وخدمه لثلاثة أشهر ونصف من ولايته، ومات لثمان عشرة ليلة من حبسه، واستوزر مكانه أبا العباس أحمد بن عبيد الله بن سليمان الحصيبي. ثم استبد القاهر على طريف السيكري واستخف به، فخافه وتنكر ثم أحضره بعد أن قبض على الوزير أبي جعفر فقبض عليه وأودعه السجن إلى أن خلع القاهر.

دولة بني بويه

ابتداء دولة بني بويه:

كان أبوهم أبو شجاع بويه من رجالات الديلم وكان له أولاد علي والحسن وأحمد، فعلي أبو الحسن عماد الدولة، والحسن أبو علي ركن الدولة، وأحمد أبو الحسن معز الدولة. ونسبهم ابن ماكولا في الساسانية إلى بهرام جور بن يزجرد، وابن مسكويه إلى يزجرد بن شهریار، وهو نسب مدخول، لأن الرياسة على قوم لا تكون في غير أهل بلدهم كما ذكرنا في مقدمة الكتاب. ولما أسلم الديلم على يد الأطروش وملك بهم طبرستان وجرجان، وكان من قواده ماكان بن كالي وليلى بن النعمان وأسفار بن شبرويه ومرداويج بن وزار، وكانوا ملوكاً عظاماً وازدحموا في طبرستان، فساروا لملك الأرض عند اختلاط الدولة العباسية وضعفها، وقصدوا الإستيلاء على الأعمال والأطراف. وكان بنو بويه من جملة قواد ماكان بن كالي. فلما وقع بينه وبين مرداويج من الفتنة والخلاف ما تقدم، وغلبه مرداويج على طبرستان وجرجان عادوا إلى مرداويج لتحف عنه مؤنتهم على أن يرجعوا إليه إذا صلح أمره، فساروا إلى مرداويج فقبلهم وأكرمهم. واستأمن إليه جماعة من قواد ما

كان فقتلهم وأولادهم، ووُلِّي علي بن بويه على الكرج وكان أكبر اخوته. وسار جميعهم إلى الريّ، وعليها وشمكير بن زيار أخو مرداويج، ومعه وزيره الحسين بن محمد الملقب بالعميد، فاتصل به علي بن بويه، وأهدى إليه بغلة كانت عنده ومتاعاً، وندم مرداويج على ولاية هؤلاء المستأمنة من قواد ماكان، فكتب إلى أخيه وشمكير بالقبض على الباقيين، وأراد أن يبعث في أثر علي بن بويه، فخشى الفتنة وتركه. ولما وصل علي بن بويه إلى الكرج استقام أمره، وفتح قلاعاً للخرمية طفر منها بذخائر كثيرة واستمال الرجال، وعظم أمره، وأحبه الناس، ومرداويج يومئذ بطبرستان. ثم عاد إلى الريّ وأطلق مالاّ لجماعة من القواد على الكرج فوصلوا إلى علي بن بويه فأحسن إليهم واستمالهم، وبعث إليهم مرداويج فدافعه فندم على إطلاقهم، وبعث فيهم مرداويج أمراء الكرج فاستأمن إليه شيرازاد من أعيان قواد الديلم. فقويت نفسه وسار إلى أصبهان وبها المظفر بن ياقوت على الحرب في عشرة آلاف مقاتل أبو علي بن رستم على الخوارج، فأرسل علي بن بويه يستعطفهما في الإنحياز إلى طاعة الخليفة وخدمته والمسير إلى الحضرة فلم يجيباه. وكان أبو علي أشد كراهة له فمات تلك الأيام. وسار ابن ياقوت ثلاثة فراسخ عن أصبهان، وكان في أصحابه حسلاً وديلم، واستأمنوا إلى ابن بويه، ثم اقتتلوا فانهزم ابن ياقوت واستولى علي بن بويه على أصبهان، وهو عماد الدولة، وكان عسكره نحواً من تسعمائة، وعسكر ابن ياقوت نحواً من عشرة لاف. وبلغ ذلك القاهر فاستعظمه وبلغ مرداويج فأقلقه وخاف على ما بيده. وبعث إلى عماد الدولة يخادعه يطلب الطاعة منه ليطمئن للرسالة، ويخالفه أخوه وشمكير في العساكر وشعر ابن بويه بذلك فرحل عن أصبهان وقصد أرجان وبها أبو بكر بن ياقوت. فانهزم أبو بكر من غير قتال ولحق برامهرمز. واستولى ابن بويه على أرجان وخالفه وشمكير أخو مرداويج إلى أصبهان فملكها. وأرسل القاهر إلى مرداويج بأن يسلم أصبهان لمحمد ابن ياقوت ففعل. وكتب أبو طالب يستدعيه وبهون عليه أمر ابن ياقوت ويغريه به، فخشى ابن بويه من كثرة عساكر ياقوت وأمواله وأن يحصل بينه وبين ابنه تأهيات فتوقف، فأعاد عليه أبو طالب وأراه أن مرداويج طلب الصلح من ابن ياقوت وخوفه اجتماعهما عليه. فسار ابن بويه إلى أرجان في ربيع سنة إحدى وعشرين ولقيتهم هنالك مقدمة ابن ياقوت فانهزمت، فزحف ابن ياقوت إليهم وبعث عماد الدولة أخاه ركن الدولة الحسن إلى

كازرون وغيرها من أعمال فارس، فجى أموالها ولقي عسكر ابن ياقوت هنالك فهزمهم ورجع إلى أخيه. وخشي عماد الدولة من اتفاق مرداويج مع ابن ياقوت فسار إلى أصطخر واتبعه ابن ياقوت وشيعة إلى قنطرة بطريق كرمان اضطروا إلى الحرب عليها. فتزاحفوا هنالك واستأمن بعض قواده إلى ابن ياقوت فقتلهم، فاستأمن أصحابه وانهزم ابن ياقوت واتبعه ابن بويه واستباح معسكره، وذلك في جمادى سنة إثنين وعشرين. وأبلى أخوه معز الدولة أحمد في ذلك اليوم بلاء حسناً ولحق ابن ياقوت بواسط، وسار عماد الدولة إلى شيراز فملكها وأمن الناس واستولى على بلاد فارس، وطلب الجند أرزاقهم فعجز عنها، وعثر على صناديق من مخلف ابن ياقوت وذخائر بني الصفار فيها خمسمائة ألف دينار، فامتألت خزائنه وثبت ملكه. واستقر ابن ياقوت بواسط وكاتبه أبو عبد الله اليزيدي حتى قتل مرداويج. عاد إلى الأهواز ووصل عسكر مكرم، وكانت عساكر ابن بويه سبقته فالتقوا بنواحي أرجان. وانهزم ابن ياقوت فأرسل أبو عبد الله اليزيدي في الصلح فأجاب ابن بويه واستقر ابن ياقوت بالأهواز ومعه ابن اليزيدي وابن بويه ببلاد فارس. ثم زحف مرداويج إلى الأهواز وملكها من يد ابن ياقوت، ورجع إلى واسط وكتب إلى الراضي. وكان بعد القاهر كما نذكره، والى وزيره أبي علي بن مقله بالطاعة والمقاطعة فيما ليده من البلاد بأعمال فارس على ألف ألف درهم، فأجيب إلى ذلك وبعث إليه باللواء والخلع، وعظم شأنه في فارس وبلغ مرداويج شأنه فخاف غائلته، وكان أخوه وشمكير قد رجع إلى أصبهان بعد خلع القاهر وصرف محمد بن ياقوت عنها فسار إليها مرداويج للتدبير على عماد الدولة، وبعث أخاه وشمكير على الري وأعمالها.

خلع القاهر وبيعة الراضي:

ولما قتل القاهر مؤنساً وأصحابه أقام يتطلب الوزير أبا علي بن مقله والحسن بن هارون وهما مستتران، وكانا يرسلان قواد الساجية والحجرية ويغريانهم بالقاهر، فإنهم عرّوه

كما فعل بأصحابه قبلهم. وكان ابن مقله يجتمع بالقواد ويراسلهم ويجيء إليهم متنكراً ويغريهم، ووضعا على سيما أن منجماً أخبره أنه ينكب القاهر ويقتله ودسوا إلى معبر كان عنده أموالاً على أن يحذره من القاهر، فنفر واستوحش، وحفر القاهر مطامير في داره، فقبل لسيما والقواد إنما صنعت لكم فازدادوا نفرة. وكان سيما رئيس الساجية، فارتاب بالقاهر وجمع أصحابه وأعطاهم السلاح، وبعث إلى الحجرية فجمعهم عنده وتحالفوا على خلع القاهر، وزحفوا إلى الدور وهجموا عليه، فقام من النوم ووجد الأبواب مشحونة بالرجال، فهرب إلى السطح ودلهم عليه خادم فجأؤه واستدعوه للنزول فأبى فتهددوه بالرشق بالسهم، فنزل وجاءوا به إلى محبس طريف السيكري، فحبسوه مكانه وأطلقوه حتى سمل بعد ذلك، وذلك لسنة ونصف من خلافته. وهرب الحصيبي وزيره وسلامة حاجبه. وقد قيل في خلعه غير هذا، وهو أن القاهر لما تمكن من الخلافة اشتد على الساجية والحجرية واستهان بهم فتشاكوا ثم خافه حاجبه سلامة لأنه كان يطالبه بالأموال ووزيره الحصيبي كذلك، وحفر المطامير في داره فارتابوا به كما ذكرنا. وأسر جماعة من القرامطة فحبسهم بتلك المطامير، وأراد أن يستظهر بهم على الحجرية والساجية فتنكروا ذلك وقالوا فيه للوزير وللحاجب، فأخرجهم من الدار وسلمهم لمحمد بن ياقوت صاحب الشرطة وأوصاه إليهم، فآزاد الساجية والحجرية ريبة. ثم تنكر لهم الماهر وصار يعلن بدمهم وكراحتهم فاجتمعوا لخلعه كما ذكرنا. ولما قبض القاهر بحثوا عن أبي العباس بن المُقَدِّر وكان محبوساً مع أمه فأخرجوه وبايعوه في جمادى سنة إثنين وعشرين، وبايعه القواد والناس وأحضر علي بن عيسى وأخاه عَبدُ الرحمن وصدر عن رأيهما، وأراد علي بن عيسى على الوزارة فامتنع واعتذر بالنكير، وأشار بابن مقله فأمنه واستوزره. وبعث القضاة إلى القاهر ليخلع نفسه. فأبى فسمل وأمن ابن مقله الحصيبي وولاه وولّى الفضل بن جعفر بن الفرات نائباً عنه عن أعمال الموصل وقردي وباريدي وماردين وديار الجزيرة وديار بكر وطريق الفرات والثغور الجزرية والشامية وأجناد الشام وديار مصر يعزل ويولي من يراه في الخراج والمعادن والنفقات والبريد وغير ذلك. وولّى الراضي على الشرطة بديراً الحمامي، وأرسل إلى محمد بن رائق يستدعيه وكان قد استولى على الأهواز ودفع عنها ابن ياقوت من تلك الولاية إلى السوس وجنديسابور، وقد ولي على أصبهان وهو يروم المسير إليها. فلما ولي الراضي استدعاه

للحجبة فسار إلى واسط، وطلب محمد بن ياقوت الحجابه فأجيب إليها فسار في أثر ابن رائق، وبلغ ابن رائق الخبر فسار من واسط مسابقاً لابن ياقوت بالمدائن توقيع الراضي بالحرب، والمعادن في واسط، مضافاً إلى ما بيده من البصرة والمعادن. فعاد منحدرًا في دجلة ولقيه ابن ياقوت مصعداً، ودخل بغداد وولّي الحجبة وصارت إليه رياسة الجيش ونظر في أمر الدواوين وأمرهم بحضور مجلسه، وأن لا ينفذوا توقيعاً في ولاية أو عزل أو إطلاق إلا بخطه، وصار نظر الوزير في الحقيقة له وابن مقلة مكابر مجلسه مع جملتهم ومتميز عنهم في الإيثار والمجلس فقط.

مقتل هارون:

كان هارون بن غريب الحال على ماه الكوفة والدينور وماسبذان وسائر الأعمال التي ولاها القاهر إياه، فلما خلع القاهر واستخلف الراضي رأى هارون أنه أحق بالدولة من غيره لأنه ابن خال المُقْتَرِّ، فكاتب القوّاد ووعدهم وسار من الدينور إلى خانقين وشكا ابن مقلة وابن ياقوت والحجرية والساجية إلى الراضي فأذن لهم في منعه، فراسلوه أولاً بالممانعة والزيادة على ما في يده من الأعمال، فلم يلتفت إليهم، وشرع في الجباية فقومت شوكته. فسار إليه محمد بن ياقوت في العساكر وهرب عنه بعض أصحابه إلى هارون، وكتب إلى هارون يستميله فلم يجب، وقال لا بد من دخول بغداد. ثم تراحفوا لست بقين من جمادى الآخرة سنة إثنين وعشرين فانهزم أولاً أصحاب ابن ياقوت، ونهب سوادهم. وسار محمد حتى قطع قنطرة تبريز، وسار هارون منفرداً لاعتراضه، فدخل في بعض المياه وسقط عن فرسه، ولحقه غلام لمحمد بن ياقوت فقطع رأسه وانهزم أصحابه وقتل قواده وأسر بعضهم، ورجع ابن ياقوت إلى بغداد ظافراً.

نكبة ابن ياقوت:

قد ذكرنا أنه كان نظر في أمر الدواوين، وصيّر ابن مقلة كالعاطل، فسعى به عند القاضي وأوهمه خلافه حتى أجمع القبض عليه في جمادى سنة ثلاث وعشرين، فجلس الخليفة على عادته، وحضر الوزير وسائر الناس على طبقاتهم يريد تقليد جماعة من القواد للأعمال، واستدعى ابن ياقوت للخدمة في الحجبة على عادته، فبادر، وعذل به إلى حجرة فحبس فيها وخمار. وبعث الوزير ابن مقلة إلى دار محمد من

يحفظها من النهب، وأطلق يده في أمور الدولة واستبد بها وكان ياقوت مقيماً بواسط، فلما بلغه القبض على ابنه انحدر إلى فارس لمحاربة ابن بويه، وكتب يستعطف الراضي ويسأله إبقاء ابنه ليساعده على شأنه. ولم يزل محمد محبوباً إلى أن هلك سنة أربع عشرة في محبسه.

خبر البريدي:

كان أبو عَبدِ الله البريدي أيام ابن ياقوت ضامناً للأهواز، فلما استولى عليها مرداويج، وانهمز ابن ياقوت كما مرّ، رجع البريدي إلى البصرة وصار يتصرف في أسافل الأهواز مع كنانة ياقوت. ثم سار إلى ياقوت فأقام معه بواسط، فلما قبض على ابن ياقوت وكتب ابن مقلة إليه وإلى ياقوت يعتذر عن قبض ابن ياقوت ويأمرهما بالمسير لفتح فارس، فسار ياقوت على السوس، والبريدي على طريق الماء حتى انتهى إلى الأهواز. وكان إلى أخويه أبي الحسن وأبي يوسف ضمان السوس وجندي سابور، وادعيا أن دخل البلاد أخذه مرداويج. وبعث ابن مقلة ثانياً لتحقيق ذلك فوافاهم وكتب بصدقهم، فاستولى ابن البريدي ما بين ذلك على أربعة آلاف ألف دينار. ثم أشار أبو عَبدِ الله بن علي بن ياقوت بالمسير لفتح فارس، وأقام هو لجباية الأموال فحصل منها بغيته. وسار ياقوت فلقبه ابن بويه على أرجان فهزمه، وسار إلى عسكر مكرم. واتبعه ابن بويه إلى رامهرمز وأقام بها إلى أن اصطالحا.

مقتل ياقوت:

قد تقدم لنا انهزام ياقوت من فارس أمام عماد الدولة ابن بويه إلى عسكر مكرم، واستيلاء ابن بويه على فارس. وكان أبو عَبدِ الله البريدي بالأهواز ضامناً كما تقدم. وكان مع ذلك كاتباً لياقوت. وكان ياقوت يستنيم إليه ويثق به. وكان مُغفلاً ضعيف السياسة فخادعه أبو عَبدِ الله البريدي وأشار عليه بالمقام بعسكر مكرم، وأن يبعث إليه بعض جنده الواصلين من بغداد تخفيفاً للمؤنة وتحذيراً من شغبهم. وبعث إليه أخاه بذلك أبا يوسف ودفع له من مال الأهواز خمسين ألف دينار. ثم قطع عنه فضايق الحال عليه وعلى جنده، وكان قد نزع إليه من أصحاب ابن بويه طاهر الحمل، وكاتبه أبو جعفر الصهيري، ثم انصرف عنه لضيق حاله إلى غربي تستر ليتغلب على ماه البصرة، فكبسه ابن بويه وغنم معسكره وأسر الصهيري، فشفع فيه وزيره، وأطلقه،

فلحق بكرمان، واتصل بعد ذلك بمعز الدولة ابن بويه واستكتبه. ولما انصرف طاهر عن ياقوت كتب إلى البريدي يشكو ضعفه واستطالة أصحابه، فأشار عليه بإرسالهم إلى الأهواز متعريفين لقومهم. فلما وصلوا إليه اتفق خيارهم ورد الباقيين، وأحسن إلى من عنده. وبعث ياقوت إليه في طلب المعز فلم يبعث إليه، فجاءه بنفسه فتلقيه وترجل إليه وقبل يده، وأنزله بداره، وقام في خدمته أحسن مقام، ووضع الجند على الباب يشغبون ويرومون قتله، فأشار إليه بالنجاة. فعاد إلى عسكر مكرم، فكتب إليه يحذره اتباعهم، وأن عسكر مكرم على ثمانية فراسخ من الأهواز، وأرى أن تتأخر بتستر فتتخصن بها. وكتب له على عامل تستر بخمسين ألف دينار، وعذله خادمه مؤنس في شأن ابن البريدي وأراه خديعته. وأشار إليه باللحاق ببغداد، وأنه شيخ الحجرية، وقد كاتبوك فسر إلى رياسة بغداد وإلا فتعاجل إلى البريدي وتخرجه عن الأهواز فصم عن نصيحته وأبى من قبول السعاية فيه، وتسائل أصحابه إلى ابن البريدي حتى لم يبق معه إلا نحو الثمانمائة. وجاءه ابنه المظفر ناجياً من حبس الراضي بعد أسبوع، فأطلقه وبعثه إلى أبيه فأشار عليه بالمسير إلى بغداد، فإن حصل على ما يريد وإلا فإلى الموصل وديار ربيعة ويملكها، فأبى عليه أبوه ففارقه إلى ابن البريدي فأكرمه ووكل به. ثم حذر ابن البريدي غائله ياقوت، فبعث إليه بأن الخليفة أمره بإزعاجه من البلاد أمّا إلى بغداد وأمّا إلى بلاد الجبل ليؤليه بعض أعمالها، فكتب يستمهله فأبى من المهلة، وبعث العساكر من الأهواز. وسار ياقوت إلى عسكر مكرم ليكيس ابن البريدي هنالك فصيح البلد ولم يجده، وجاءت عساكر ابن البريدي مع قائد أبي جعفر الجمال، فقاتله من أمامه وأكمن آخرين من خلفه فانهزم واقترب أصحابه، وحسا إلى حائط متكرراً فمر به قوم ابن البريدي فكشفوا وجهه وعرفوه فقتلوه وحملوا رأسه إلى العسكر فدفنه الجمال وبعث البريدي إلى تستر فحمل ما كان لياقوت هنالك، وقبض على ابنه المظفر وبعثه إلى بغداد واستبد بتلك الأعمال وذلك سنة أربع وعشرين.

مسير ابن مقلّة إلى الموصل واستقرارها لابن حمدان :

كان ناصر الدولة أبو محمد الحسن بن أبي الهيجاء عبّد الله بن حمدان عاملاً على الموصل، فجاء عمه أبو العلاء سعيد فضمن الموصل وديار ربيعة سراً وسار إليها فظهر أنه في طلب المال من ابن أخيه. وشعر ناصر الدولة بذلك فخرج لتلقيه، فخالفه إلى بيته فبعث من قبله واهتم الراضي بذلك وأمر الوزير أبا علي بن مقلّة بالمسير إلى الموصل، فسار في العساكر من شعبان سنة ثلاث وعشرين، فرحل عنها ناصر الدولة ودخل الزوران واتبعه الوزير إلى حمل السن. ثم عاد عنها إلى الموصل وأقام في جبايتها، وبعث ناصر الدولة إلى بغداد بعشرة آلاف دينار لابن الوزير ليستحث أباه في القدوم، فكتب إليه بما أزعجه، فسار من الموصل واستخلف عليها عليّ بن خلف بن طياب وماترد الديلمي من الساجية. ودخل بغداد منتصف شوال، وجمع ناصر الدولة ولقي ما ترد الديلمي على نصيبين، إلى الرقة وانحدر منها إلى بغداد ولحقه ابن طياب، واستولى ناصر الدولة حمدان على الموصل وكتب في الرضا وضمان البلاد فأجيب وتعذرت عليه.

نكبة ابن مقلّة وخبر الوزارة:

كان الوزير ابن مقلّة قد بعث سنة ثلاث وعشرين إلى محمد بن رائق بواسط بطالبه بارتفاع أعمال واسط والبصرة، وكان قد قطع الجبل. فلما جاءه كتاب ابن مقلّة كتب إليه جوابه يغالطه وكتب إلى الراضي بالسعي في الوزارة، وأنه يقوم بنفقات الدار وأرزاق الجند، فجهز الوزير ابنه سنة أربع وعشرين لقصدته ووري بالأهواز، وأنفذ رسوله إلى ابن رائق بهذه التورية يؤنسه بها، وباكر القصر لانفاذ الرسول فقبض عليه المظفر بن ياقوت والحجرية. وكان المظفر قد أطلق من محبسه وأعيد إلى الحجية، فاستحسن الراضي فعلهم، واختفى أبو الحسين ابن الوزير وسائر أولاده وحرمه وأصحابه، وأشار إلى الحجرية والساجية لوزارة علي بن عيسى، فامتنع وسار بأخيه عبّد الرحمن، فاستوزره الراضي وصادر ابن مقلّة. ثم عجز عن تمشية الأمور وضافت عليه الجباية، فاستعفى من الوزارة فقبض عليه الراضي وعلى أخيه علي ثلاثة أشهر من وزارته، واستوزر أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخيّ، فصادر علي بن عيسى على

مائة ألف دينار. ثم عجز عن الوزارة وضافت الأموال وانقطعت. وطمع أهل الأعمال فيما بأيديهم، فقطع ابن رائق حمل واسط والبصرة، وقطع ابن البريدي حمل الأهواز وأعمالها، وانقطع جمل فارس لغلب ابن بويه عليها ولم يبق غير هذه الأعمال ونطاق الدولة قد تضايق إلى الغاية، وأهل الدولة مستبدون على الخلافة، والأحوال متلاشية. فتحير أبو جعفر، وكثرت عليه المطالبات، وذهبت هيئته. فاخفى لثلاثة أشهر ونصف من وزارته، واستوزر الراضي مكانه أبا القاسم سليمان بن الحسن، فكان حاله مثل حال من قبله في قلة المال ووقوف الحال.

استيلاء ابن رائق على الخليفة:

ولما رأى الراضي وقوف الحال من الوزراء استدعى أبا بكر محمد بن رائق من واسط وكتبه بأنه قد أجابه إلى ما عرض من السعي في الوزارة على القيام بالنفقات وأرزاق الجند، فسرى ابن رائق بذلك وشرع يتجهز للمسير. ثم أنفذ إليه الراضي الساجية وقلده إمارة الجيش، وجعله أمير الأمراء، وفوض إليه الخراج والدواوين والمعادن في جميع البلاد، وأمر بالخطبة له على المنابر، وانحدر إليه أرباب الدواوين والكتاب والحجاب. ولما جاءه الساجية قبض عليهم بواسط في ذي الحجة من سنة أربع وعشرين، ونهب رجالهم ودوابهم ومتاعهم ليوفر أرزاقهم على الحجرية، فاستوحشوا لذلك وخيموا بدار الخلافة، وأصعد ابن رائق إلى بغداد وفوض الخليفة إليه أمرهم. وأمر الحجرية بتقويض خيامهم والرجوع إلى منازلهم، وأبطل الدواوين وصير النظر إليه، فلم يكن الوزير ينظر في شيء من الأمور. وبقي ابن رائق وكتابه ينظرون في جميع الأمور، فبطلت الدواوين وبيوت الأموال من يومئذ وصارت لأمر الأمراء، والأموال تحمل إلى خزائنه، ويتصرف فيها كما يريد، ويطلب من الخليفة ما يريد. وتغلب أصحاب الأطراف وزال عنهم الطاعة. ولم يبق للخليفة إلا بغداد وأعمالها، وابن رائق مستبد عليه. وأما باقي الأعمال فكانت البصرة في يد ابن رائق، وخوزستان والأهواز في يد ابن البريدي، وفارس في يد عماد الدولة ابن بويه، وكرمان في يد علي بن الياس، والري وأصبهان والجبل في يد ركن الدولة ابن بويه، وشمكير أخو مرداويج ينازعه في هذه الأعمال، والموصل وديار بكر ومصر وربيعة في يد حمدان ومصر والشام في يد ابن طغج، والمغرب وأفريقية في يد العبيديين، والأندلس في يد

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ النَّاصِرِ مِنْ وَلَدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْدَاخِلِ، وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ فِي يَدِ بَنِي سَامَانَ، وَطَبْرِسْتَانَ فِي يَدِ الدَّيْلَمِ، وَالْبَحْرَيْنِ وَالْيَمَامَةِ فِي يَدِ أَبِي طَاهِرِ الْقَرْمَطِيِّ، وَلَمْ يَبْقَ لَنَا مِنَ الْأَخْبَارِ إِلَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِالْخِلاَفَةِ فَقَطْ فِي نِطاقِهَا الْمُتَضَايِقِ أَخِيرًا، وَأَنْ كَانَتْ مَغْلِبَةً. وَهِيَ أَخْبَارُ ابْنِ رَائِقِ وَالْبِرِيدِيِّ، وَأَمَّا غَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي اقْتَطَعْتَ كَمَا ذَكَرْنَا فَذَكَرْ أَخْبَارَهَا مُنْفَرِدَةً، وَنَسُوقُ الْمُسْتَبْدِينَ دَوْلًا كَمَا شَرَطْنَا فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ. ثُمَّ كَتَبَ ابْنُ رَائِقٍ عَنِ الرَّاضِيِّ إِلَى أَبِي الْفَضْلِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الْفَرَاتِ. وَكَانَ عَلَى الْخِرَاجِ بِمِصْرَ وَالشَّامِ، وَظَنَّ أَنَّهُ بِوِزَارَتِهِ تَكُونُ لَهُ تِلْكَ الْجَبَايَةُ، فَوَصَلَ إِلَى بَغْدَادَ وَوَلَّى وَزَارَةَ الرَّاضِيَّ وَابْنَ رَائِقٍ جَمِيعًا.

وصول يحكم مع ابن رائق :

كَانَ يَحْكُمُ هَذَا مِنْ جَمَلَةِ مَرْدَاوِيحِ قَائِدِ الدَّيْلَمِ بِيَلَادِ الْجِبَلِ، وَكَانَ قَبِيلَهُ فِي جَمَلَةِ مَاكَانَ بْنِ كَالِيٍّ وَمِنْ مَوَالِيهِ، وَهَبَهُ لَهُ وَزِيرُهُ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارِضُ، ثُمَّ فَارَقَ مَاكَانَ مَعَ مَنْ فَارَقَهُ إِلَى مَرْدَاوِيحِ. وَكَانَ مَرْدَاوِيحِ قَدْ مَلَكَ الرِّيِّ وَأَصْبَهَانَ وَالْأَهْوَاذَ، وَضَخَمَ مَلِكُهُ وَصَنَعَ كِرَاسِيٍّ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ لِلْجُلُوسِ عَلَيْهَا هُوَ وَقَوَادِهِ، وَوَضَعَ عَلَى رَأْسِهِ تَاجًا تَظُنُّهُ تَاجُ كَسْرِيِّ. وَأَمْرٌ أَنْ يَخَاطَبَ بِشَاهِنشَاهِ، وَاعْتَزَمَ عَلَى قِصْدِ الْعِرَاقِ وَالْإِسْتِيلَاءِ عَلَيْهِ، وَتَجَدِيدِ قِصُورِ كَسْرِيِّ بِالْمَدَائِنِ. وَكَانَ فِي خِدْمَتِهِ جَمَاعَةٌ مِنَ التُّرْكِ وَمِنْهُمْ يَحْكُمُ. فَأَسَاءَ مَلِكُهُمْ وَعَسَكْرُهُمْ فَقَتَلُوهُ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ بِظَاهِرِ أَصْبَهَانَ كَمَا نَذَرَهُ فِي أَخْبَارِهِمْ. وَاجْتَمَعَ الدَّيْلَمُ وَالْجِبَلُ بَعْدَهُ عَلَى أَخِيهِ وَشَمَكِيْرِ بْنِ زِيَارٍ وَهُوَ وَالِدُ قَابُوسِ، وَلَمَّا قَتَلَ مَرْدَاوِيحِ افْتَرَقَ الْأَتْرَاقُ فَرَقَتَيْنِ فَرَفَقَةَ سَارَتِ إِلَى عِمَادِ الدَّوَلَةِ بْنِ بُوَيْهِ بِفَارَسِ، وَالْآخَرَى وَهِيَ الْأَكْثَرُ سَارَتِ نَحْوَ الْجِبَلِ عِنْدَ يَحْكُمِ فَجَبُوا خِرَاجَ الدِّينُورِ وَغَيْرَهَا. ثُمَّ سَارُوا إِلَى النَّهْرَوَانَ وَكَاتَبُوا الرَّاضِيَّ فِي الْمَسِيرِ إِلَيْهِ فَأَذَّنَ لَهُمْ وَارْتَابَ الْحَجْرِيَّةَ بِهِمْ، فَأَمَرَهُمُ الْوَزِيرُ بِالرُّجُوعِ إِلَى بَلَدِ الْجِبَلِ، فَغَضِبُوا وَاسْتَدْعَاهُمْ ابْنُ رَائِقٍ صَاحِبُ وَاسِطِ وَالْبَصْرَةِ فَمَضُوا إِلَيْهِ وَقَدِمَ عَلَيْهِمْ بِحُكْمِ وَكَانَ الْأَتْرَاقُ وَالِدَيْلَمِ مِنْ أَصْحَابِ مَرْدَاوِيحِ، فَجَاءَتْهُ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ وَإِلَى لِحْكُمْ وَسَمَاهُ الرَّائِقِيَّ نَسْبَةً إِلَيْهِ وَأَذَّنَ لَهُ أَنْ يَكْتُبَهُ فِي مَخَاطِبَاتِهِ.

مسير الرازي وابن رائق لحرب ابن البريدي:

ثم اعتزم ابن رائق سنة خمس وعشرين على الرازي في المسير إلى واسط لطلب ابن البريدي في المال ليكون أقرب لمناجزته، فأنحدر في شهر محرم وارتاب الحجرية بفعله مع الساجية، فتخلفوا ثم تبعوه فاعترضهم وأسقط أكثرهم من الديوان، فاضطربوا وثاروا فقاتلهم وهزمهم وقتل منهم جماعة ولجأ فلهم إلى بغداد، فأوقع بهم لؤلؤ صاحب الشرطة ونهبت دورهم وقطعت أرزاقهم وقبضت أملاكهم، وقتل ابن رائق من كان في حبسه من الساجية، وسار هو والرازي نحو الأهواز لاجلاء ابن البريدي منها. وقدم إليه في طلب الاستقامة، وتوعده فجدد ضمان الأهواز بألف دينار في كل شهر، ويحمل في كل يوم قسطه. وأجابه إلى تسليم الجيش لمن يسير إلى قتال ابن بويه لنفرتهم عن بغداد. وعرض ذلك على الرازي، فأشار الحسين بن علي القونجي وزير ابن رائق بأن لا تقبل لأنه خداع ومكر. وأشار أبو بكر بن مقاتل بإجابته، وعقد الضمان على ابن البريدي، وعاد ابن رائق والرازي إلى بغداد فدخلها أول صفر، ولم يف ابن البريدي بحمل المال، وأنفذ ابن رائق جعفر بن ورقاء ليسير بالجيش إلى فارس. ودس إليهم ابن البريدي أن يطلبوا منه المال ليتجهزوا به، فاعتذر فشتموه وتهددوه بالقتل. وأتى ابن البريدي فأشار عليه بالنجاء. ثم سعى ابن مقاتل لابن البريدي في وزارة ابن رائق عوضاً عن الحسين القونجي وبذل عنه ثلاثين ألف دينار، فاعتذر له بسوابق القونجي عنده وسعيه له، وكان مريضاً. فقال له ابن مقاتل: أنه هالك، فقال ابن رائق: قد أعلمني الطبيب أنه ناقه، فقال الطبيب: يراجيك فيه لقربه منك، ولكن سل ابن أخيه علي بن حمدان. وكان القونجي قد استناب ابن أخيه في مرضه، فأشار عليه ابن مقاتل أن يعرف الأمير إذا بمهلكة وأشار عليه أن يستوزره. فلما سأله ابن رائق أبأسه منه. فقال ابن رائق عند ذلك لابن مقاتل: اكتب لابن البريدي يرسل من ينوب عنه في الوزارة، فبعث أحمد بن الكوني واستولى مع مقاتل على ابن رائق وسعوا لابن البريدي أبي يوسف في ضمان البصرة. وكان عامل البصرة من قبل ابن رائق محمد بن

يزداد وكان شديد الظلم والعسف بهم، فخادعه ابن البريدي وأنفذ أبو عبد الله مولاة إقبالاً في ألفي رجل، وأقاموا في حصن مهدي قريباً. فعلم ابن يزداد أنه يروم التغلب على البصرة، وأقاما على ذلك وأقام ابن رائق شأن هذا العسكر في حصن مهدي. وبلغه أيضاً أنه استخدم الحجرين الذين أذن لهم في الانسياح في الأرض، وأنهم اتفقوا مع عسكره على قطع الحمل، وكان به بطردهم عنه فلم يفعل. فأمر ابن السكوني أن يكتب إلى ابن البريدي بالكتاب على ذلك. وبأمر بإعادة العسكر من حصن مهدي، فأجاب بأعدادهم للقرامطة وابن يزداد عاجز عن الحماية. وكان القرامطة قد وصلوا إلى الكوفة في ربيع الآخر، وخرج ابن رائق في العساكر إلى حصن ابن هبيرة ولم يستقر بينهم أمر. وعاد القرمطي إلى بلده وسار ابن رائق إلى واسط، فكتب ابن البريدي إلى عسكره بحصن مهدي أن يدخلوا البصرة ويملكوها من ابن يزداد، وأمدهم جماعة الحجرية فقصدوا البصرة وقتلوا ابن يزداد فهزموه، ولحق بالكوفة وملك إقبال مولى ابن البريدي وأصحابه البصرة، وكتب ابن رائق إلى البريدي يتهدده ويأمره بإخراج أصحابه من البصرة فلم يفعل.

استيلاء يحكم على الأهواز:

ولما امتنع ابن البريدي من الإفراج عن البصرة بعث ابن رائق العساكر مع بدر الحريشي ويحكم مولاة، وأمهم بالمقام بالجامدة، فتقدم يحكم عن بدر وسار إلى السوس وجاءته عساكر البريدي مع غلامه محمد الجمال في ثلاثة آلاف، ومع يحكم مائتان وسبعون من الترك، فهزمهم يحكم ورجع محمد بن الجمال إلى ابن البريدي فعاقبه على انهزامه، وجشد له العسكر، فسار في ستة آلاف ولقيهم يحكم عند نهر تستر فانهزموا من غير قتال. وركب ابن البريدي السفن ومعه ثلثمائة ألف دينار، ففرق أصحابه وماله ونجا إلى البصرة، وأقام بالأبلة، وبعث غلامه إقبالاً فلقى جماعة من أصحاب ابن رائق فهزمهم، وبعث ابن رائق مع جماعة من أهل البصرة يستعطفه فأبى، فطلبوا البصرة فحلف ليحرقنها ويقتل كل من فيها، فرجعوا مستبصرين في قتاله. وأقام ابن البريدي بالبصرة، واستولى يحكم على الأهواز ثم

بعث ابن رائق جيشه في البحر والبر، فانهزم عسكر البر، واستولى عسكر الماء على الكلا، فهرب ابن البريدي في السفن إلى جزيرة أوال، وترك أخاه أبا الحسين في عسكر بالبصرة، فدفع عسكر ابن رائق عن الكلا فسار ابن رائق من واسط. واستولى يحكم على الأهواز وقاتلوا البصرة فامتنعت عليهم. وسار أبو عبّد الله بن البريدي من أوال إلى عماد الدولة بن بويه بفارس، فأطعمه في العراق وبعث معه أخاه معز الدولة إلى الأهواز، فسير إليها ابن رائق مولاه يحكم على أن يكون له الحرب والخراج، وأقام ابن البريدي على البصرة وزحفت إليه عساكرهم فأعجلوه عن تقويض خيامه فأحرقها وسار إلى الأهواز مجرداً، وسبقتة عساكره إلى واسط، وأقام عند يحكم أياماً وأشير عليه بحبسه فلم يفعل ورجع ابن رائق إلى واسط.

استيلاء معز الدولة علي الأهواز:

لما سار أبو عبّد الله بن البريدي من جزيرة أوال إلى عماد الدولة ابن بويه بفارس مستجيراً به من ابن رائق ويحكم ومستنجداً عليهم طمع عماد الدولة في الاستيلاء على العراق، فسير معه أخاه معز الدولة أحمد بن بويه في العسكر، ورهن ابن البريدي عنده ولديه أبا الحسين محمداً وأبا جعفر الفيّاض. وسار يحكم للقائهم فلقبهم بأزجان. فانهزم أمامهم وعاد إلى الأهواز وخلف جيشاً بعسكر مكرم. فقاتلهم معز الدولة ثلاثة عشر يوماً ثم انفضوا ولحقوا بتستر، وملك معز الدولة عسكر مكرم وذلك سنة ست وعشرين وسار يحكم من الأهواز إلى تستر، وبلغ الخبر إلى ابن رائق بواسط، فسار إلى بغداد وجاء يحكم من تستر إلى واسط. ولما استولى معز الدولة وابن البريدي على عسكر مكرم، ولقيهم أهل الأهواز وسار معهم إليها، فأقاموا شهراً. ثم طلب معز الدولة من ابن البريدي عسكره الذي في البصرة ليسيير بهم إلى أخيه ركن الدولة بأصبهان لحرب وشمكير، فأحضر منهم أربعة آلاف. ثم طلب من عسكره الذين بحصن مهدي ليسيير بهم في الماء إلى واسط، فارتاب ابن البريدي وهرب إلى البصرة. وبعث إلى عسكرها الذين ساروا إلى أصبهان وكانوا متوقفين بالسوس، فرجعوا إليه. ثم كتب إلى معز الدولة أن يفرج له عن الأهواز ليتمكن من الجباية والوفاء بها لأخيه عماد الدولة، وكان قد ضمن له الأهواز والبصرة بثمانية عشر ألف ألف درهم. فرحل معز الدولة إلى عسكر مكرم وأنفذ ابن البريدي عامله إلى

الأهواز. ثم بعث إلى معز الدولة بأن يتأخر إلى السوس فأبى، وعلم يحكم بحالهم فبعث جيشاً استولوا على السوس وجندي سابور، وبقيت الأهواز بيد ابن البريدي ومعز الدولة بعسكر مكرم، وقد ضاقت أحوال جنده. ثم بعث إليه أخوه عماد الدولة بالمدد فسار إلى الأهواز وملكها. ورجع ابن البريدي إلى البصرة ويحكم في ذلك مقيم بواسط، وقد صرف همه إلى الإستيلاء على رتبة ابن رائق ببغداد. وقد أنفذ له ابن رائق علي بن خلف بن طياب ليسيروا إلى الأهواز ويخرجوا ابن بويه. ويكون يحكم على الحرب وابن خلف على الخراج، فلم يلتفت يحكم لذلك واستوزر علي بن خلف ويحكم في أحوال واسط. ولما رأى أبو الفتح الوزير ببغداد إديار الأحوال أطمع ابن رائق في مصر والشام، وقال أنا أجيئها لك، وعقد بينه وبين ابن طغج صهرا. وسار أبو الفتح إلى الشام في ربيع الآخر، وشعر ابن رائق بمحاولة يحكم عليه، فبعث إلى ابن البريدي بالإتفاق على يحكم على أن يضمن ابن البريدي واسط بستمائة ألف، فنهض يحكم إلى ابن البريدي قبل ابن رائق وسار إلى البصرة، فبعث إليه ابن البريدي أبا جعفر الجمال في عشرة آلاف، فهزمهم يحكم وارتاع ابن البريدي لذلك، ولم يكن قصد يحكم إلا الإلفة فقط، والتضرع لابن رائق، فبعث إليه بالمسالمة وأن يقلده واسط إذا تم أمره، فاتفقا على ذلك وصرف نظره إلى أمر ببغداد.

وزارة ابن مقلة ونكبته:

ولما انصرف أبو الفتح بن الفرات إلى الشام استوزر الراضي أبا علي بن مقلة على سنن من قبله والأمر لابن رائق، وابن مقلة كالغارية. وكتب له في أمواله وأملاكه فلم يردها. فشرع في التدبير عليه، فكتب إلى ابن رائق بواسط ووشمكير بالري يطمع كلا منهما في مكانه، وكتب الراضي يشير بالقبض على ابن رائق وأصحابه، واستدعى يحكم لمكانه وأنه يستخرج منهم ثلاثة آلاف ألف دينار، فأطمعه الراضي على كره. فكتب هو إلى يحكم يستحثه. وطلب من الراضي أن ينتقل إلى دار الخلافة حتى يتم الأمر، فأذن له وحضر متكرراً آخر ليلة من رمضان سنة ست وعشرين، فأمر الراضع باعتقاله وأطلع ابن رائق من الغد على كتبه، فشكر ذلك له ابن رائق، وأمر بابن مقلة في منتصف شوال فقطع لم عولج، وبريء وعاد إلى السعي في الوزارة والتطلّم من ابن رائق والدعاء عليه، فأمر بقطع لسانه وحبسه إلى أن مات.

استيلاء يحكم على بغداد:

لم يزل يحكم يظهر التبعية لابن رائق، ويكتب على أعلامه وتراسه يحكم الرائي إلى أن وصلتته كتب ابن مقله بأن الراضي قلده إمرة الأمراء، فطمع وكاشف ابن رائق ومحاسبه إليه من أعلامه وسلاحه. وسار من واسط إلى بغداد في ذي القعدة سنة ست وعشرين. وكتب إليه الراضي بالرجوع فأبى ووصل إلى نهر دبالى وأصاب ابر رائق في غريبه، فانهزموا وعبروا النهر سباحاً. وسار ابن رائق إلى عكبراً، ودخل يحكم بغداد منتصف ذي القعدة ولقي الراضي من الغد، وولاه أمير الأمراء، وكتب عن الراضي إلى القواد الذين مع ابن رائق بالرجوع عنه فرجعوا، وعاد ابن رائق إلى بغداد فاختمى بها لسنة وأحد عشر شهراً من إمارته، ونزل يحكم بدار مؤنس واستقر ببغداد متحكماً في الدولة مستبداً على الخليفة.

دخول أذربيجان في طاعة وشمكير:

كان من عمال وشمكير على أعمال الجبل السيكري بن مردى، وكان مجاوراً لأعمال أذربيجان وعليها يومئذ ديسم بن إبراهيم الكردي من أصحاب ابن أبي الساج، فحدثت السيكري نفسه بالتغلب عليها، فجمع وسار إليها. وخرج إليه ديسم فانهزم فاستولى على سائر بلاده إلا أردبيل وهي كرسي أذربيجان، فحاصرها السيكري وضيق حصارها، فراسلوا ديسم بالمتنى لقتال السيكري من ورائه ففعل، وجاؤه يوم قتالهم من خلف، فانهزم السيكري إلى موقان فأعانه أصبهذا ابن دواله وسار معه نحو ديسم، فانهزم ديسم وقصد وشمكير بالري واستمده على أن يدخل في طاعته ويضمن له مالاً في كل سنة فأجابته وبعث معه العسكر وبعث أصحاب السيكري إلى وشمكير بأنهم على الطاعة، وشعر بذلك السيكري فسار في خاصته إلى أرمينية واكتسح في نواحيها. ثم سار إلى الزوزان من بلاد الأرمن، فاعترضوه وقتلوه ومن معه، ورجع فلهم وقد ولوا عليهم سان بن السيكري، وقصد بلد طرم الأرمني ليثأروا منهم بأصحابهم، فقاتلهم طرم وأتخن فيهم، وساروا إلى ناصر الدولة بن حمدان وإنحدر بعضهم إلى بغداد، وكان على المعادن بأذربيجان

الحسين بن سعيد بن حمدان من قبل ابن عمه ناصر الدولة، فلما جاء إلى الموصل أصحاب السيكري مع ابنه بعثهم ابن عمه بأذربيجان لقتال ديسم، فلم تكن له به طاقة ورجع إلى الموصل واستولى ديسم على أذربيجان في طاعة وشمكير.

ظهور ابن رائق ومسيره إلى الشام:

وفي سنة سبع وعشرين وثلثمائة سار يحكم إلى الموصل وديار ربيعة بسبب أن ناصر الدولة بن حمدان أخّر المال الذي عليه من ضمان البلاد، فأقام الراضي بتكريت وسار يحكم، ولقيه ناصر الدولة على ستة فراسخ من الموصل، فانهزم واتبعه يحكم إلى نصيبين ثم إلى آمد، وكتب إلى الراضي بالفتح. فسار من تكريت في الماء إلى الموصل وفارقه جماعة من القرامطة كانوا في عسكره، وكان ابن رائق يكاتبهم من مكان اكتفائه فلما وصلوا بغداد خرج ابن رائق إليهم واستولى، وطار الخبر إلى الراضي فأصعد من الماء وسار إلى الموصل وكتب إلى يحكم بذلك. فرجع عن نصيبين بعد أن استولى عليها. وشرع أهل العسكر يتسللون إلى بغداد فأهم ذلك يحكم. ثم جاءت رسالة ابن حمدان في الصلح وتعجيل خمسمائة ألف درهم، فأجابوه وقرره ورجعوا إلى بغداد، ولقيهم أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد رسولاً عن ابن رائق في الصلح على أن يقلده الراضي طريق الفرات وديار مضر حران والرها وما جاورها جندي قنشرين والعواصم. فأجابه الراضي وقلده وسار إلى ولايته في ربيع الآخر. وكان يحكم قد استناب بعض قواد الأتراك على الأنبار وإسمه بالبان، وطلب تقليد طريق الفرات فقلد وسار إلى الرحبة. ثم انتقض وعاد لابن رائق وعصى على يحكم، فسار إليه غازياً وكبسه بالرحبة على حين غفلة لخمسة أيام من مسيره، فظفر به وأدخله بغداد على جمل وحبسه وكان آخر العهد به.

وزارة ابن البريدي:

قد تقدم لنا مسير الوزير أبي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات إلى الشام، ولما سار استناب بالحضرة عبّد الله بن علي البصري، وكان يحكم قد قبض على وزيره خلف بن طباب، واستوزر أبا جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد، فسعى في وزارة ابن البريدي ليحكم حتى تم ذلك. ثم ضمن ابن البريدي أعمال واسط بستمائة ألف دينار كل سنة. ثم جاء الخبر بموت أبي الفتح بن الفرات بالرملة. فسعى أبو جعفر

ابن شيرزاد في وزارة أبي عَبد الله للخليفة، فعقد له الراضي بذلك واستخلف بالحضرة عَبد الله بن علي البصري كما كان مع أبي الفتح.

مسير ركن الدولة إلى واسط ورجوعه عنها:

لَمَّا استقر ابن البريدي بواسط بعث جيشاً إلى السوس، وبها أبو جعفر الظهيري وزير معز الدولة أحمد بن بويه، ومعز الدولة بالأهواز. فتحصن أبو جعفر بقلعة السوس، وعاث الجيش في نواحيها. وكتب معز الدولة إلى أخيه ركن الدولة وهو على اصطخر قد جاء من أصبهان لَمَّا غلبه وشمكير عليها. فلما جاء كتاب أخيه معز الدولة سار محمد إلى السوس وقد رجع عنه جيش ابن البريدي. ثم سار إلى واسط يحاول ملكها فنزل في جانبها الشرقي، وابن البريدي في الجانب الغربي، واضطرب عسكر ابن بويه واستأمن جماعة منهم إلى ابن البريدي. ثم سار الراضي ويحكم من بغداد إلى واسط للإمداد، فرجع ركن الدولة إلى الأهواز ثم إلى رامهرمز. وبلغه أن وشمكير قد أنفذ عسكره مدداً لما كان بن كالي وأن أصبهان خالية، فسار إليها من رامهرمز وأخرج من بقي منها من أصحاب وشمكير وملكها فاستقر بها.

مسير يحكم إلى بلد الجبل وعوده إلى واسط واستيلائه عليها :

كان يحكم قد أرسل ابن البريدي وصاهره واتفقا على أن يسير يحكم إلى بلاد الجبل لفتحها من يد وشمكير، وأبو عَبد الله بن البريدي إلى الأهواز لأخذها من يد معز الدولة ابن بويه، فسار يحكم إلى حلوان وبعث إليه ابن البريدي بخمسمائة رجل مدداً. وبعث يحكم بعض أصحابه إلى ابن البريدي يستحثه إلى السوس والأهواز فأقام يماطله ويدافعه ويبين له أنه يريد مخالفة يحكم إلى بغداد. فكتب إليه بذلك، فرجع عن قصده إلى بغداد. وعزل ابن البريدي من الوزارة، وولى مكانه أبا القاسم بن سليمان بن الحسين بن مخلد، وقبض على ابن شيرزاد الذي كان ساعياً له، وتجهز إلى واسط، وانحدر في الماء آخر ذي الحجة سنة ثمان وعشرين. وبعث عسكراً في البر، وبلغ الخبر ابن البريدي فسار عن واسط إلى البصرة واستولى عليها يحكم وملكها.

استيلاء ابن رائق علي الشام:

قد تقدم لنا مسير ابن رائق إلى ديار مصر وثور قنسرين والعواصم، فلما استقر بها حدثته نفسه بملك الشام، فسار إلى حمص فملكها. ثم سار إلى دمشق وبها بدر بن عبّد الله الأخشيد، ويلقب بدير، فملكها من يده. ثم سار إلى الرملة ومنها إلى عريش مصر يريد ملك الديار المصرية، ولقيه الأخشيد محمد بن طغج، وانهزم أولاً وملك أصحاب ابن رائق خيامه. ثم خرج كمين الأخشيد فانهزم ابن رائق إلى دمشق، وبعث الأخشيد في أثره أخاه أبا نصر بن طغج، وسار إليهم ابن رائق من دمشق فهزمهم وقتل أبو نصر، فكفنه ابن رائق وحمله مع ابنه مزاحم إلى أخيه الأخشيد بمصر. وكتب يعزبه ويعتذر. فأكرم الأخشيد مزاحماً، واصطاح مع أبيه على أن تكون مصر للأخشيد من حد الرملة وما وراءها من الشام لابن رائق، ويعطي الأخشيد عن الرملة في كل سنة مائة وأربعين ألف دينار.

الصوائف أيام الراضي:

وفي سنة إثنين وعشرين سار الدمستق إلى سميساط في خمسين ألفاً من الروم، ونازل ملطية وحاصرها مدة طويلة حتى فتحها بالأمان، وبعثهم إلى مأمهم مع بطريق من بطارقه. وتنصر الكثير منهم محبة في أهلهم وأموالهم. ثم افتتحوا سميساط وخرّبوا أعمالها وأفحشوا في أسطوله في البحر. ففتحوا بلد جنوة ومروا بسرديانية فأوقعوا بأهلها، ثم مروا بقرقيسيا من ساحل الشام فأحرقوا مراكبها وعادوا سالمين. وفي سنة ست وعشرين كان الفداء بين المسلمين والروم في ذي القعدة على يد ابن ورقاء الشيباني البريدي في ستة آلاف وثلثمائة أسير.

الولايات أيام الراضي والقاهر قبله:

قد تقدم لنا أنه لم يبق من الأعمال في تصريف الخلافة لهذا العهد إلا أعمال الأهواز والبصرة وواسط والجزيرة، وذكرنا استيلاء بني بويه على فارس وأصبهان، ووشمكير على بلاد الجبل، وابن البريدي على البصرة، وابن رائق على واسط. وأن عماد الدولة ابن بويه على فارس، وركن الدولة أخوه يتنازع مع وشمكير على أصبهان

وهمدان وقم وقاشان والكرج والرّي وقزوين. واستولى معز الدولة أخوهما على الأهواز وعلى كرمان، واستولى ابن البريدي على واسط. وسار ابن رائق إلى الشام فاستولى عليها. وفي سنة ثلاث وعشرين قلد الراضي إبنه أبا جعفر وأبا الفضل ناحية المشرق والمغرب. وفي سنة إحدى وعشرين ورد الخبر بوفاة تكين الخاصكي بمصر وكان أميراً عليها، وولّى القاهر مكانه ابنه محمداً ونار به الجند، فظفر بهم. وفيها وقعت الفتنة بين بني ثعلب وبني أسد ومعهم طيء، وركب ناصر الدولة الحسن بن عبّد الله بن حمدان ومعه أبو الأعز بن سعيد بن حمدان ليصلح بينهم، فوَقعت ملاحاة قتل فيها أبو الأعز على يد رجل من ثعلب، فحمل عليهم ناصر الدولة واستباحهم إلى الحُدَيْثَة. فلقبهم يانس غلام مؤنس والياً على الموصل، فانضم إليه بنو ثعلب وبنو أسد وعادوا إلى ديار ربيعة. وفي سنة أربع وعشرين قلد الراضي محمد بن طغج أعمال مصر مضافاً إلى ما بيده من الشام، وعزل عنها أحمد بن كيغُلج.

وفاة الراضي وبيعة المتقي:

وفي سنة تسع وعشرين وثلثمائة توفي الراضي أبو العباس أحمد بن المُقْتَدِر في ربيع الأول منها لسبع سنين غير شهر من خلافته. ولما مات أحضر يحكم ندماءه وجلساءه لينتفع بما عندهم من الحكمة فلم يفهم عنهم لعجمته. وكان آخر خليفة خطب على المنبر وأن خطب غيره فنادر. وآخر خليفة جالس السمر ووصل الندماء. ودولته آخر دول الخلفاء في ترتيب النفقات والجوائز والجرابات والمطابخ والخدم والحجاب. وكان يحكم يوم وفاته غائباً بواسط حين ملكها من يد ابن البريدي، فانتظر في الأمور وصول مراسمه فورد كتابه مع كاتبه أبي عبّد الله الكوفي يأمر فيه باجتماع الوزراء وأصحاب الدواوين، والقضاة والعلويين والعباسيين ووجوه البلد عند الوزير أبي القاسم سليمان بن الحسن، ويشاورهم الكوفي فيمن ينصب للخلافة ممن يرتضي مذهبه وطريقه، فاجتمعوا وذكروا إبراهيم بن المُقْتَدِر واتفقوا عليه وأحضره من الغد، وبايعوا له آخر ربيع الأول من سنة تسع وعشرين. وعرضت عليه الألقاب فاختار المتقي لله وأقر سليمان على وزارته كما كان، والتدبير كله للكوفي كاتب يحكم، وولى سلامة الطولوني على الحجة.